اللهم صلاةً في المسجد الأقصى

التوحيد

العدد ٦٢٨ السنة الثالثة والخمسون ربيع آخر ١٤٤٥ هـ

الثمن ١٠ جنيهات

مجلة إسلامية ثقافية شهرية تصدر عن جماعة أنصار السنة المحمدية

العدد ٦٢٨ السنة الثالثة والخمسون ربيع آخر ١٤٤٥ هـ

الثمن ١٠ جنيهات

النصح المبين للمربين والمدرسين

لا اختلاف في القرآن الكريم

صناعة التفاهة

الإسلام بين حركة التاريخ ومواجهة الانحطاط المعاصر

طوفان الأقصى.. دروس وعبر

بسم الله الرحمن الرحيم

فاعلم أنه لا إله إلا الله

رئيس مجلس الإدارة
والمشرف العام
على مجلة التوحيد
فضيلة الشيخ
أحمد يوسف عبد المجيد

هيئة التحرير:

رئيس التحرير التنفيذي:
حسين عطا القراط

مدير التحرير
إبراهيم رفعت أبو موته

الاشتراك السنوي

١- في الداخل ٢٠٠ جنيه توضع في حساب المجلة رقم/ ١٩١٥٩٠ ببنك فيصل الاسلامي مع إرسال قسيمة الإيداع على فاكس المجلة رقم/ ٠٢٢٣٩٣٠٦٦٢.
٢- في الخارج ٨٠ دولاراً أو ٤٠٠ ريال سعودى أو مايعادلهما

السلام عليكم

بين مؤتمر القمة ومؤتمر القوة !

الجهاد فريضة إسلامية شُرعت لإعلاء كلمة الله، ونصر الحق وصد الباطل ورد العدوان.

وأعداء الإسلام - وعلى رأسهم اليهود - لا يذعنون إلا للسيف! ولا يردعهم إلا جيوش المجاهدين، ولا ترهبهم إلا قوة السلاح.

والجهاد هو السبيل الوحيد لإعادة الحرم المغصوب (المسجد الأقصى) والوطن المسلوب.

وينبغي للجميع أن يعلموا أن القدس لن تعود إلا إذا عقد حكام المسلمين مؤتمراً للقوة.

إن اليهود يسخرون ويضحكون ويتغامزون ويستهزئون، وهم يروننا نسارع كلما حزبنا أمر إلى عقد مؤتمر القمة! وفرق كبير بين مؤتمر القمة ومؤتمر القوة !

التحرير

نقدم للقارئ الكريم كرتونة كاملة تحوي ٤٩ مجلدًا
من مجلدات مجلة التوحيد عن ٤٩ سنة كاملة

فهرس العدد

اللهم صلاة في المسجد الأقصى
الرئيس العام: الشيخ أحمد يوسف ٢
باب التفسير د. عبد العظيم بدوي ٥
من أسباب إجابة الدعاء د. عبد الله شاكر ٨
طوفان الأقصى دروس وعبر
د. أيمن خليل ١١
طعم الإيمان د. جمال المراكبي ١٧
سرية كعب بن الأشرف د. سيد عبد العال ٢١
النصح المبين للمربين والمدرسين
د. عبد القادر فاروق ٢٤
لا اختلاف في القرآن الكريم
د. محمد حامد ٢٨
الإسلام بين حركة التاريخ ومواجهة الانحطاط
د. عبد الوارث عثمان ٣٢
واحة التوحيد د. علاء خضر ٣٦
نظرات في حديث أبي بن كعب
د. متولي البراجيلي ٣٨
صناعة التفاهة د. أحمد سليمان ٤٢
الصدق م/محمد ياسين بدر ٤٦
الرحمة الشيخ إبراهيم حافظ رزق ٤٨
القيادة الوالدية الشيخ عادل شوشة ٥٠
تحذير الداعية من القصص الواهية
الشيخ علي حشيش ٥٣
رسالة إلى الذين يتخذون من دون الله أولياء
د. محمد عبد العليم الدسوقي ٥٧
صدقة يحبها الله ورسوله
الشيخ عبده أحمد الأقرع ٦١
من بلاغة القرآن الكريم :د. عبد الرحمن فودة ٦٤
تحذير من ينطق بأن البلاء موكل بالمنطق
أ. محمد عبد المقصود صالح ٦٦
الرجوع إلى الحق الشيخ حسين صادق ٧٠

جمعية أنصار السنة المحمدية

صاحبة الامتياز
جمعية أنصار السنة المحمدية

رئيس التحرير:
مصطفى خليل أبو المعاطي

الإخراج الصحفي:
أحمد رجب محمد
محمد محمود فتحي

ثمن النسخة

مصر ١٠ جنيهات ، السعودية ١٢ ريال ، الإمارات ١٢ دراهم ، الكويت ١ دينار ، المغرب ٢ دولار أمريكي ، الأردن ١ دينار ، قطر١٢ ريال ، عمان ١ريال عماني ، أمريكا ٤ دولار، أوروبا ٤ يورو

إدارة التحرير ||
٨ شارع قولة عابدين . القاهرة
ت: ٢٣٩٣٦٥١٧ . فاكس: ٢٣٩٣٠٦٦٢

البريد الإلكتروني ||
MGTAWHEED@HOTMAIL.COM

منفذ البيع الوحيد
بمقر مجلة التوحيد
الدور السابع

١٠٠٠ جنيهاً ثمن الكرتونة للأفراد والهيئات والمؤسسات
داخل مصر و٣٠٠ دولاراً خارج مصر شاملة سعر الشحن

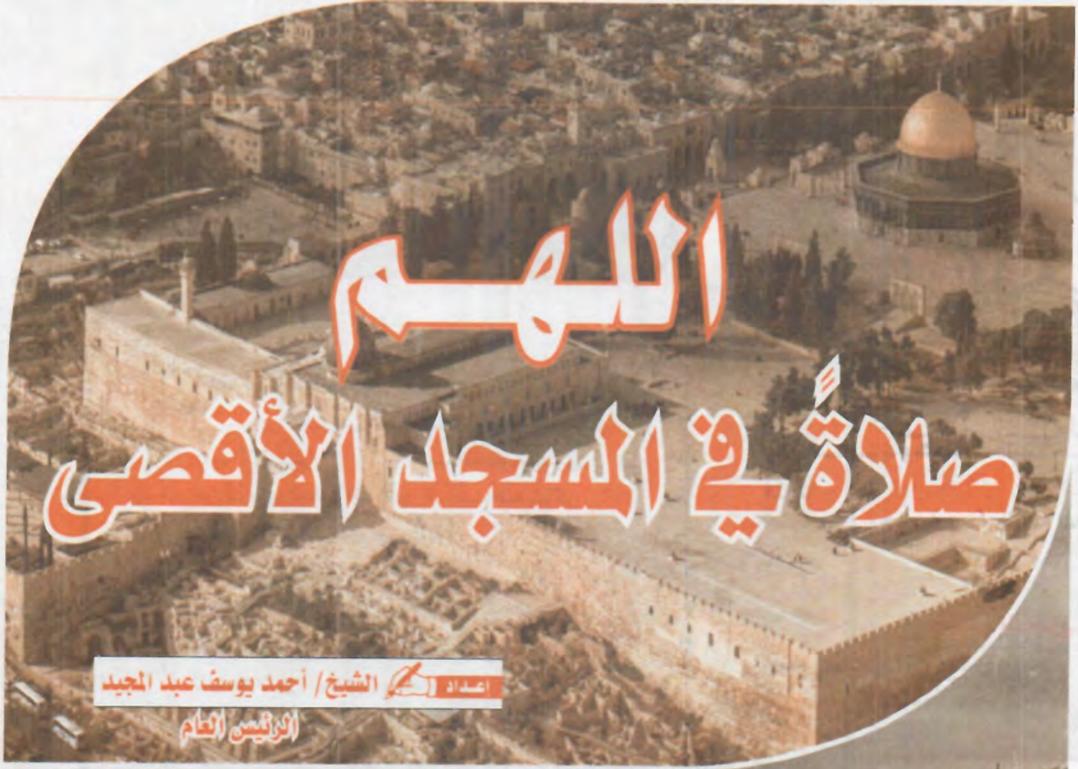

اللهم صلاةً في المسجد الأقصى

إعداد الشيخ/ أحمد يوسف عبد المجيد
الرئيس العام

الحمد لله رب العالمين، والعاقبة للمتقين، والصلاة والسلام على سيد الأولين والآخرين.

أما بعد: فلا شك أن كل مسلم يتمزق قلبه حسرةً وأسفًا على ما آل إليه حال المسجد الأقصى، والذي أصبح أسيرًا بين يدي طائفة من شرار الخلق عند الله.

وتزداد الحسرة والأسف عندما يرى ويسمع ما وصلوا إليه من طغيان في محاولات لإزالته بحُجَج واهية كالبحث عن هيكل سليمان أو حائط المبكى، أو غيرها من الأكاذيب. في ظل عالَم يزعم الحضارة والحرية، وهو يكيل بألف مكيال.

إن هذا العدو الغاصب هم اليهود، ويكفي لمعرفة اليهود وجرائمهم قوله تعالى: « وَقَالَتِ ٱلۡيَهُودُ عُزَيۡرٌ ٱبۡنُ ٱللَّهِ » (التوبة: ٣٠)، وقوله سبحانه: « وَقَالَتِ ٱلۡيَهُودُ يَدُ ٱللَّهِ مَغۡلُولَةٌ » (المائدة: ٦٤)، واخبار القرآن عن بعض مخازيهم « وَقَتۡلِهِمُ ٱلۡأَنۢبِيَآءَ بِغَيۡرِ حَقّٖ وَقَوۡلِهِمۡ قُلُوبُنَا غُلۡفُۢۚ بَلۡ طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَيۡهَا بِكُفۡرِهِمۡ فَلَا يُؤۡمِنُونَ إِلَّا قَلِيلٗا » (النساء: ١٥٥).

> “ إن النصر والتمكين والأمن والأمان لا يكون إلا مع تحقيق العبادة الخالصة لله سبحانه. ”

إنهم يصوّرون للناس أن القضية قضية أرض وإرهاب كما يزعمون. وهم أكثر الناس إرهابا، إنها قضية المسجد الأقصى، قضية كل مسلم في كل مكان من أرض الله، إنها قضية تعظيم لشعائر الله.

إنه المسجد الأقصى الذي اختاره الله لعبادته سبحانه بعد المسجد الحرام. كما في الصحيحين من حديث أبي ذر الغفاري قال، قلت يا رسول الله، أي مسجد وُضع في الأرض أول؟ قال: «المسجد الحرام». قلت: ثم أي؟ قال: «المسجد الأقصى». قلت: كم بينهما؟ قال: «أربعون، وأينما أدركتك الصلاة فصل». وبذلك يتأكد لكل ذي عقل وجود المسجد الأقصى قبل وجود اليهود وأنهم مغتصبون مفسدون في الأرض.

إن المسجد الأقصى مسرى نبينا صلى الله عليه وسلم، ومنه المعراج إلى السماوات العلا، قال تعالى: « سُبۡحَٰنَ ٱلَّذِيٓ أَسۡرَىٰ بِعَبۡدِهِۦ لَيۡلٗا مِّنَ ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِ إِلَى ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡأَقۡصَا ٱلَّذِي بَٰرَكۡنَا حَوۡلَهُۥ » (الإسراء: ١).

إنه قِبلة المسلمين الأولى، وهو أحد المساجد الثلاثة التي لا تُشد الرحال إلا إليها، كما في الصحيحين من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال صلى الله عليه وسلم: « لا تُشدَ الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد، مسجدي هذا، والمسجد الحرام، والمسجد الأقصى». ولا بد أن يُقدِّم كلَ مسلم ما في وُسعه لنُصرة المسجد الأقصى، وأن يقدم من أسباب النصر ما يَستطيعه، وأول ذلك الإيمان الصادق، « وَكَانَ حَقًّا عَلَيۡنَا نَصۡرُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ » (الروم: ٤٧).

إن النصر والتمكين والأمن والأمان لا يكون إلا مع تحقيق العبادة الخالصة لله سبحانه. وأنَّى لمشرك يطلب من غير الله، ويستغيث بسواه ويعتقد في الموتى أنهم مدركون بالكون: أن يكون له النصر!!

إنه وعد الله للمؤمنين العاملين الموحدين المخلصين بالتمكين والاستخلاف والأمن المنشود: « وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمۡ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسۡتَخۡلِفَنَّهُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ كَمَا ٱسۡتَخۡلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمۡ دِينَهُمُ ٱلَّذِي ٱرۡتَضَىٰ لَهُمۡ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعۡدِ خَوۡفِهِمۡ أَمۡنٗاۚ يَعۡبُدُونَنِي لَا يُشۡرِكُونَ بِي شَيۡـٔٗاۚ وَمَن كَفَرَ بَعۡدَ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ

هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ» (النور: ٥٥).

إن القيام على حدود الله تعالى مع الأخذ بالأسباب لهو من أقوى عوامل النصر، والمسلم الصادق يوقن بوعد الله تعالى وقوته جل ذكره، فإن الأسباب المادية مهما كانت فلا قيمة لها مع قوة الله التي خلقها وأوجدها سبحانه: «وَمَا ٱلنَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ» (آل عمران: ١٢٦).

وكثيرًا ما يتساءل المسلمون عمَّا يحل بهم من نكبات؟ وما أسبابها؟ وكأنهم يقولون: كيف هذا ونحن المسلمون أصحاب الدين الذي رضيه الله لنا؟ وللإجابة عن ذلك تتدبر ما ذكره القرآن ردًّا على سؤال الصحابة الكرام: «أَوَلَمَّآ أَصَٰبَتْكُم مُّصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُم مِّثْلَيْهَا قُلْتُمْ أَنَّىٰ هَٰذَا ۖ قُلْ هُوَ مِنْ عِندِ أَنفُسِكُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ» (آل عمران: ١٦٥).

وصدق الله إذ يقول: «وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُوا۟ عَن كَثِيرٍ» (الشورى: ٣٠). وما أحسن ما قاله ابن عاشور عند تفسيره لهذه الآية حيث قال: (تنبيههم إلى أنَّ ما أصابَهم من ذلك البُؤس هو جزاءٌ على ما اقترفوه من الشِّرك؛ تَنبيهًا يَبعثُهم ويَبعثُ الأمَّةَ على أنْ يُلاحظوا أحوالَهم نحْوَ امتثالِ رِضا خالقِهم، ومُحاسَبةِ أنفُسِهم؛ حتَّى لا يَحسَبوا أنَّ الجزاءَ الذي أُوعِدوا به مَقصورٌ على الجزاءِ في الآخرةِ، بلْ يَعلَموا أنَّه قدْ يُصيبُهم اللهُ بما هو جَزاءٌ لهم في الدُّنيا).

> “ إن القيام على حدود الله تعالى مع الأخذ بالأسباب لهو من أقوى عوامل النصر، والمسلم الصادق يوقن بوعد الله تعالى وقوته. ”

ومما لا شك فيه أن ما يجري من خذلان وهوان إنما سببه الإعراض عن شرع الله تعالى.

فيا عبد الله: جَدِّد إيمانك، وأحسن توكلك، واجتهد في عبادتك، واجتهد في الدعاء لإخوانك؛ لكي تكون سببًا من أسباب النصر والتمكين؛ فإن الله تعالى قال: «وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِىٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِى سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ» (غافر: ٦٠). وقال سبحانه: «إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَٱسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّى مُمِدُّكُم بِأَلْفٍ مِّنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ مُرْدِفِينَ» (الأنفال: ٩).

وفي الصحيحين من حديث ابن أبي أوفى رضي الله عنه قال: دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الأحزاب على المشركين؛ فقال: «اللهم مُنزل الكتاب، سريع الحساب، اللهم اهزم الأحزاب، اللهم اهزمهم وزلزلهم». فلنجتهد في الدعاء لإخواننا في المسجد الأقصى ومن حوله وللمسلمين المستضعفين في كل مكان.

كما أنه ينبغي على حُكام المسلمين أن يُقدِّموا كل ما في وُسعهم لنصر المستضعفين، والعمل على تحرير المسجد الأسير من أيدي اليهود الغاصبين.

أسأل الله سبحانه أن يُصلح قلوبنا، وأن يُعلي كلمته، وأن ينصر جنده، وأن يُوفِّق ولاة أمر المسلمين للعمل بشريعته، إنه على كل شيء قدير.

سُورَة لُقْمَان

سُورَة لُقْمَان
سُورَة لُقْمَان

قال الله تعالى: « وَإِذْ قَالَ لُقْمَٰنُ لِٱبْنِهِۦ وَهُوَ يَعِظُهُۥ يَٰبُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِٱللَّهِ إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴿١٣﴾ وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ وَفِصَٰلُهُۥ فِى عَامَيْنِ أَنِ ٱشْكُرْ لِى وَلِوَٰلِدَيْكَ إِلَىَّ ٱلْمَصِيرُ »

(لقمان: ١٣- ١٤)

إعداد: **د. عبدالعظيم بدوي**

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله، وبعد:

فمنْ أوْلويَّات الدَّعْوة: أنْ يَبْدَأ الدَّاعي بأهْله:

«وإذْ قَالَ لُقْمَانُ لابْنه وهُو يَعظُهُ يا بُنَيَّ لا تُشْرِكْ بالله إنَّ الشِّرْك لظُلْمٌ عَظيمٌ ١٣»: لَماذا خَصَّ الله تَعالى مَوْعظَة لُقْمان لابْنه دُون سَائر النَّاس؟

لأنَّ الأصْل في الْواعظ أنْ يَبْدَأ بأهْله، ومن الْخطأ أنْ يَنْشَغل بوعْظ النَّاس عَنْ وَعْظ أهْله، ومن الْخطأ أنْ يَنْشغل بتَعْليم النَّاس عَنْ تَعْليم أهْله، ومن الْخطأ أنْ يَنْشَغل بتَرْبيَة النَّاس عَنْ تَرْبيَة أهْله.

عَن ابْن عُمَر رضي الله عنه عَن النَّبيِّ صلى الله عليه وسلم أنَّه قَال: «ألا كُلُّكُمْ رَاعٍ وَكُلُّكُمْ مَسْئُولٌ عَنْ رَعيَّته، فَالأمير الَّذي عَلَى النَّاس رَاعٍ وَهُو مَسْئُولٌ عَنْ رَعيَّته، وَالرَّجُل رَاعٍ عَلَى أهْل بَيْته وَهُو مَسْئُولٌ عَنْهُمْ، وَالْمَرْأَة رَاعيَةٌ عَلَى بَيْت بَعْلها وَوَلَده وَهي مَسْئُولَةٌ عَنْهُمْ، وَالْعَبْد رَاعٍ عَلَى مَال سَيِّده وَهُو مَسْئُولٌ عَنْه، ألا فَكُلُّكُمْ رَاعٍ وَكُلُّكُمْ مَسْئُولٌ عَنْ رَعيَّته» (صحيح البخاري ٧١٣٨).

وَقَال تَعالى: « يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ قُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَٰٓئِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَّا يَعْصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ » (التحريم: ٦)، وَقَال تَعالى: « وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱصْطَبِرْ عَلَيْهَا » (طـه ١٣٢)، وَقَال تَعالَى للنَّبيِّ صلى الله عليه وسلم: « يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ قُل لِّأَزْوَٰجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَآءِ ٱلْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جَلَٰبِيبِهِنَّ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰٓ أَن يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذَيْنَ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا » (الأحزاب: ٥٩)، فَبَدَأ بالأقْرَب فَالأقْرَب: الزَّوْجات، ثُمَّ الْبَنَات، ثُمَّ نساء الْمُسْلمَات. فَعلَى الدُّعَاة وَالْوُعَّاظ وَالْمُدَرِّسين أنْ يَنْتَبهُوا لهَذا، وَأنْ يَحْرصُوا عَلَى الْقيَام بوَاجبهمْ نَحْو أهْليهمْ.

منْ أساليب الدَّعْوة:

«وَإذْ قَالَ لُقْمَانُ لابْنه وَهُوَ يَعظُهُ يا بُنَيَّ»، هَكَذا يُلاطفه ويَتَودَّد إلَيْه، «يا بُنَيَّ»، تَصْغيرٌ للرَّحْمَة وَالْمَودَّة، وَلَيْس للتَّحْقير، ليَسْتَميل قَلْبَه إلَيْه، ليَعي عَنْه. وهَكَذا يَجب أنْ يَكون

أسلوب الداعية، أسلوب كله رفق ولين، وحنان ومودة، كما قال تعالى لموسى وهارون: «اذْهَبَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَىٰ ﴿٤٣﴾ فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ» (طه: ٤٤).

الوصية الأولى: لا تشرك بالله:

«يا بني لا تشرك بالله»، «فإن حق الله على العباد أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئا» (صحيح البخاري ٢٨٥٦). وبهذا أرسل الله الرسل، وأنزل الكتب، قال تعالى: «وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ» (النحل ٣٦)، وقال تعالى: «يُنَزِّلُ الْمَلَائِكَةَ بِالرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِ عَلَىٰ مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ أَنْ أَنذِرُوا أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا أَنَا فَاتَّقُونِ» (النحل: ٢)، وأكثر ربنا سبحانه في القرآن الكريم من النهي عن الشرك، فقال تعالى: «إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ فَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ قُلُوبُهُم مُّنكِرَةٌ وَهُم مُّسْتَكْبِرُونَ» (النحل: ٢٢)، وقال تعالى: «لَّا تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا آخَرَ فَتَقْعُدَ مَذْمُومًا مَّخْذُولًا» (الإسراء: ٢٢)، وقال تعالى: «وَلَا تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا آخَرَ فَتُلْقَىٰ فِي جَهَنَّمَ مَلُومًا مَّدْحُورًا» (الإسراء: ٣٩).

أي الذنب أعظم؟

وجملة: «إن الشرك لظلم عظيم ١٣» تعليل للنهي عنه وتهويل لأمره، فإنه ظلم لحقوق الخالق، وظلم المرء لنفسه، إذ يضع نفسه في حضيض العبودية لأخس الجمادات، وظلم لأهل الإيمان الحق، إذ يبعث على اضطهادهم وأذاهم، وظلم لحقائق الأشياء بقلبها وإفساد تعلقها. (التحرير والتنوير ٢١/١٥٥).

عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه لما نزلت هذه الآية: «الذين آمنوا ولم يلبسوا إيمانهم بظلم أولئك لهم الأمن وهم مهتدون ٨٢» شق ذلك على أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، وقالوا: أينا لم يلبس إيمانه بظلم؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إنه ليس بذاك، ألا تسمع إلى قول لقمان لابنه: «إن الشرك لظلم عظيم ١٣»» (صحيح البخاري: ٣٢).

وعنه رضي الله عنه قال: سألت النبي صلى الله عليه وسلم: أي الذنب أعظم عند الله؟ قال: «أن تجعل لله ندا وهو خلقك».. قلت إن ذلك لعظيم، قلت ثم أي؟ قال: «وأن تقتل ولدك تخاف أن يطعم معك». قلت ثم أي؟ قال: «أن تزاني حليلة جارك» (صحيح البخاري ٤٤٧٧).

وإنما كان الشرك ظلما لأن الظلم وضع الشيء في غير موضعه، وصرف الحق لغير مستحقه، والمشرك صرف حق الله لمن لا يستحقه فهو ظالم.

ووجه كونه عظيما، أنه لا أفظع وأبشع ممن سوى المخلوق من تراب بمالك الرقاب، وسوى الذي لا يملك من الأمر شيئا بمن له الأمر كله، وسوى الناقص الفقير من جميع الوجوه بالرب الكامل الغني من جميع الوجوه، وسوى من لم ينعم بمثقال ذرة من النعم بالذي ما بالخلق من نعمة في دينهم، ودنياهم وأخراهم، وقلوبهم، وأبدانهم، إلا منه، ولا يصرف السوء إلا هو، فهل أعظم من هذا الظلم شيء؟! وهل أعظم ظلما ممن خلقه الله لعبادته وتوحيده، فذهب بنفسه الشريفة، فجعلها في أخس المراتب، جعلها عابدة لمن لا يساوي شيئا، فظلم نفسه ظلما كبيرا. (تيسير الكريم الرحمن: ٦/١٥٥و١٥٦).

وفي هذا تنبيه لقريش وكل سامع على أن هذه وصية لا يعدل عنها، لأنها من أب حكيم لابن محنو عليه محبوب، وأن آباءهم لو كانوا حكماء ما فعلوا إلا ذلك، لأنه يترتب عليها ما عليه مدار النعم الظاهرة والباطنة، الدينية والدنيوية، العاجلة والآجلة، وهو الأمن والهداية، كما قال تعالى: «الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُم بِظُلْمٍ أُولَٰئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ

وَهُم مُّهْتَدُونَ » (الأنعام: ٨٢) (نظم الدرر في تناسب الآيات والسور: ٦/١٤).

وصية الله بالوالدين:

« ووصينا الانسان بوالديه حملته أمه وهنا على وهن وفصاله في عامين أن اشكر لي ولوالديك إلي المصير ١٤ وإن جاهداك على أن تشرك بي ما ليس لك به علم فلا تطعهما وصاحبهما في الدنيا معروفا واتبع سبيل من أناب إلي ثم إلي مرجعكم فأنبئكم بما كنتم تعملون ١٥ »:

هاتان الآيتان كالجملة المعترضة بين وصايا لقمان لابنه، لأنهما من كلام الله عز وجل، لا من كلام لقمان، لما رواه مسلم وغيره أنهما نزلتا في سعد بن أبي وقاص وأمه، كما سيأتي. وكأن الله سبحانه يقول لكل أب: لا تهتم بوصية ابنك بك، ولكن اهتم بوصيته بحق الله، والله هو الذي يوصي الانسان بوالديه، فأيما أب وصى ابنه بحق الله فهو الذي سيجني ثمرة تلك الوصية، وهي البر به والاحسان اليه، لأن الولد الذي يربى على طاعة الله عز وجل حين يسمع قول الله تعالى: « ووصينا الانسان بوالديه » سيبادر بالسمع والطاعة، التي رباه أبوه عليها، فلا يرى منه أبوه إلا البر والاحسان.

قال العلماء: وقد مضت سنة الله في القرآن الكريم أن يجمع بين الأمر بالتوحيد والنهي عن الشرك، وبين الأمر ببر الوالدين والنهي عن عقوقهما، كما في قوله تعالى: « وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا » (النساء: ٣٦)، وقوله تعالى: « قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا » (الأنعام: ١٥١)، وقوله تعالى: « وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا » (الإسراء: ٢٣).

فلما حكى الله تعالى نهي لقمان لابنه عن الشرك، قال تعالى: « ووصينا الإنسان بوالديه » وفق هذه السنة.

فالوالدان وصية الله للإنسان، يجب أن يبرهما، ويحسن إليهما، وأن يصاحبهما بالمعروف. والأم صاحبة الحظ الأوفر من ذلك لما لاقته في الحمل من تعب ونصب، ولما لاقته في الرضاع من عناء وسهر، ولذلك قال تعالى: « حملته أمه وهنا على وهن وفصاله في عامين »، وقال تعالى: « وَوَصَّيْنَا الْإِنسَانَ بِوَالِدَيْهِ إِحْسَانًا حَمَلَتْهُ أُمُّهُ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا وَحَمْلُهُ وَفِصَالُهُ ثَلَاثُونَ شَهْرًا » (الأحقاف: ١٥).

(روح المعاني: ٢١/٨٦)

من لم يشكر الناس لم يشكر الله:

وآلام الحمل والوضع لا يعلمها إلا الله، ولذلك ذكر بها حثا للإنسان على برها، وأمره بشكر الله الذي خلقه وأبويه، وشكرهما لأن الله تعالى جعلهما سبب وجوده، فقال تعالى: « أن اشكر لي ولوالديك »، قال سفيان بن عيينة رحمه الله: من صلى الصلوات الخمس فقد شكر لله، ومن دعا لوالديه دبر كل صلاة من الخمس فقد شكر لوالديه (روح المعاني ٢١/٨٧).

فمن لم يشكر والديه لم يشكر الله، لأن النبي صلى الله عليه وسلم قال: « من لم يشكر الناس لم يشكر الله » (صحيح سنن الترمذي: ١٩٥٤).

ثم حذر الله تعالى من عدم الاستجابة فقال: « إلي المصير » والمرجع والمآب، فأجزي الشاكرين والكافرين.

تنبيه:

إنما وقع تعليل الوصاية بالوالدين بذكر أحوال خاصة بأحدهما وهي الأم اكتفاء بأن تلك الحالة تقتضي الوصاية بالأب أيضا للقياس، فإن الأب يلاقي مشاق وتعبا في القيام على الأم لتتمكن من الشغل بالطفل في مدة حضانته وللحديث بقية إن شاء الله. والحمد لله رب العالمين.

من أسباب إجابة الدعاء

إعداد: د. عبد الله شاكر

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيد الأنبياء والمرسلين، وعلى آله وصحبه ومن سلك سبيلهم إلى يوم الدين. وبعد: فقد تحدثت في حلقات سابقة عن أسباب إجابة الدعاء، وفي هذا اللقاء أذكر أهم أسباب إجابة الدعاء والله ولي التوفيق.

السبب السادس: الدعاء في أوقات الإجابة:

رغب النبي صلى الله عليه وسلم في أوقات فاضلة يستحب فيها الدعاء ويكون أقرب إلى القبول، وهي كثيرة، ومنها: دعاء الله تبارك وتعالى بعد زوال الشمس وقبل صلاة الظهر، ويدل على ذلك حديث عبد الله بن السائب رضي الله عنه: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يصلي أربعًا بعد أن تزول الشمس، وقال: «إنها ساعة تُفتح فيها أبواب السماء، وأحب أن يصعد لي فيها عمل صالح». (أخرجه الترمذي وصححه الألباني في صحيح سنن الترمذي برقم (٣٩٦)).

وقد ذهب الإمام ابن القيم رحمه الله إلى أن هذه الركعات الأربع ليست هي سنة الظهر القبلية، بل هي ورد مستقل سببه انتصاف النهار وزوال الشمس، وفي ذلك يقول: «وسر هذا -والله أعلم- أن انتصاف النهار مقابل لانتصاف الليل، وأبواب السماء بعد زوال الشمس، ويحصل النزول الإلهي بعد انتصاف الليل، فهما وقتا قرب ورحمة، هذا تفتح فيه أبواب السماء، وهذا ينزل فيه الرب- تبارك وتعالى- إلى سماء الدنيا». (زاد المعاد، ج١/ ٣٠٠).

ومن أوقات الإجابة الفاضلة: الدعاء في الثلث الأخير من الليل، ومما يدل على ذلك حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم سئل: أي الصلاة أفضل بعد المكتوبة؟، وأي الصيام أفضل بعد شهر رمضان؟ فقال: «أفضل الصلاة بعد المكتوبة، الصلاة في جوف الليل، وأفضل الصيام بعد شهر رمضان، صيام شهر الله المحرم». (مسلم ١١٦٣).

والمراد بجوف الليل: الثلث الأخير من الليل، لأنه وقت نزول الرب -تبارك وتعالى- كما جاء في حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «ينزل ربنا -تبارك وتعالى- كل ليلة إلى السماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الآخر. يقول: من يدعوني فأستجيب له؟ من يسألني فأعطيه؟ من يستغفرني فأغفر له؟» (البخاري (١١٤٥)، ومسلم (٧٥٨)).

كما ورد عنه صلى الله عليه وسلم أنه كان يصلي قبل الظهر ركعتين، وقد جمع ابن القيم بين هذه الأقوال، فقال: «فإما أن يقال: إنه صلى الله عليه وسلم كان إذا صلى في بيته صلى أربعًا، وإذا صلى في المسجد صلى ركعتين، وهذا ظهر، وأما أن يقال: كان يفعل هذا، ويفعل هذا». (انظر: زاد المعاد ج١/ ٢٩٨٠).

ويلاحظ مما سبق أن هذه الساعة ليست ممتدة بعد الزوال مطلقًا، وإنما قيدت بقبل صلاة الظهر، كما في حديث عبد الله بن السائب السابق.

السبب السابع: تحري الدعاء عند الأذان وعند البأس:

الأذان من شعائر الله، ومواجهة أعداء الله فيه انتصار لدين الله، ولذلك استحب أهل العلم دعاء الله في هذين الوقتين، وقد عقد أبو داود في سننه بابًا قال فيه: «باب الدعاء: عند اللقاء»، ثم ساق تحته حديث سهل بن سعد رضي الله عنه أنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ثنتان لا تردان، أو قلما تردان: الدعاء عند النداء، وعند البأس حين يلحم بعضهم بعضًا». (وصححه الألباني كما في صحيح سنن أبي داود، ج٢/٤٨٣).

وقد ترجم ابن خزيمة لهذا الحديث بقوله: «باب استحباب الدعاء عند الأذان ورجاء إجابة الدعوة عنده» (انظر: صحيح ابن خزيمة، ج١/٢٤٩).

وعن عطاء قال: كان أبو هريرة يقول: «إن أبواب السماء تفتح عند زحف الصفوف في سبيل الله، وعند نزول الغيث، وعند الإقامة للصلاة المكتوبة، فاغتنموا الدعاء». (رواه عنه البغوي في شرح السنة، ج٢/٢٩١).

وقال الشافعي رحمه الله: «وقد حفظت عن غير واحد طلب الإجابة عند نزول الغيث، وإقامة الصلاة». (انظر: «الأم» (ج١/٤٤٢)).

السبب الثامن: تحري الدعاء في السجود:

العبد حين يضع جبهته على الأرض لله يكون قريبًا من ربه ومولاه، ويدل على ذلك حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: «أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد، فأكثروا الدعاء». (مسلم (٤٨٢)).

قال النووي رحمه الله في شرحه للحديث: «وفيه الحث على الدعاء في السجود، وفيه دليل لمن يقول: إن السجود أفضل من القيام وسائر أركان الصلاة». (شرح النووي على مسلم (ج٤/٢٠٠)).

وقد أوصى النبي صلى الله عليه وسلم أصحابه في نهاية حياته بالاجتهاد في الدعاء في السجود، كما في حديث ابن عباس رضي الله عنهما قال: «كشف رسول الله صلى الله عليه وسلم الستارة والناس صفوف خلف أبي بكر فقال: أيها الناس، إنه لم يبق من مبشرات النبوة إلا الرؤيا الصالحة، يراها المسلم أو تُرى له، ألا واني نهيت أن أقرأ القرآن راكعًا، أو ساجدًا، فأما الركوع فعظموا فيه الرب عز وجل، وأما السجود فاجتهدوا في الدعاء، فقمن أن يستجاب لكم». (مسلم (٤٧٩)).

وقد أرشد النبي صلى الله عليه وسلم المصلي أن يعظم ربه في الركوع وأن يمجده، وأن يجتهد في الدعاء أثناء سجوده؛ لأنه حقيق بإجابة الدعاء، قال النووي رحمه الله وقوله صلى الله عليه وسلم: «فقمن»، هو بفتح القاف وفتح الميم، ومعناه: حقيق وجدير، وفيه الحث على الدعاء في السجود». (شرح النووي على مسلم، ج٤/١٩٨).

السبب التاسع: تحري الدعاء بعد التشهد وقبل السلام:

وقد ثبت ذلك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم كما في حديث ابن مسعود رضي الله عنه أنه قال: «كنا إذا كنا مع النبي صلى الله عليه وسلم في الصلاة، قلنا: السلام على الله من عباده، السلام على فلان وفلان، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: لا تقولوا السلام على الله، فإن الله هو السلام، ولكن قولوا: التحيات لله والصلوات والطيبات، السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته، السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين، فإنكم إذا قلتم أصاب كل عبد في السماء، أو بين السماء والأرض، أشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله صلى الله عليه وسلم، ثم يتخير من الدعاء أعجبه إليه فيدعو». (البخاري (٨٣٥)).

وقد دل الحديث على أن الدعاء بعد التشهد

وقبل السلام من هدي النبي عليه الصلاة والسلام، وأن للمصلي أن يدعو ربه بما أحب من أمور الدنيا والآخرة، قال ابن المنذر رحمه الله: «ندب الله جل ذكره إلى الدعاء في كتابه وثبتت الأخبار عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، أنه دعا في صلاته وعلمهم الدعاء في الصلاة، وثبت عنه أنه قنت فدعا لقوم وعلى قوم، فالدعاء بالخير مباح في الصلاة، بما أحب المرء من أمر دينه ودنياه ويدعو لوالديه، ولمن أحب من إخوانه يسميهم بأسمائهم وأسماء آبائهم، والسنن الثابتة دالة على ذلك». (الأوسط ج٣/٢٤٣).

السبب العاشر: تحري الدعاء في يوم الجمعة:

يوم الجمعة يوم فاضل، فيه يجتمع المسلمون ويصلون، وفيه ساعة يستجيب الله فيها الدعاء، ويدل على ذلك ما رواه أبو هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ذكر يوم الجمعة فقال: «فيه ساعة لا يوافقها عبد مسلم وهو قائم يصلي، يسأل الله شيئًا إلا أعطاه إياه» (البخاري (٩٣٥))؛ ففي هذا الحديث تصريح صريح بأن في يوم الجمعة ساعة إجابة.

السبب الحادي عشر: تحري الدعاء في شهر رمضان:

شهر رمضان شهر مبارك أوجب الله على المسلمين صيامه بقوله سبحانه: «يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ» (البقرة: ١٨٣).

وقد أخبر النبي صلى الله عليه وسلم: «أن للصائم دعوة لا ترد»، كما جاء عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «ثلاثة لا ترد دعوتهم: الإمام العادل، والصائم حتى يفطر، ودعوة المظلوم». (أخرجه الترمذي برقم (٣٥٩٨)).

وفي شهر رمضان ليلة مباركة عظم الله شأنها وفيها أنزل الله كتابه المبارك، وهي ليلة القدر. قال تعالى: «إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ فِي لَيۡلَةِ ٱلۡقَدۡرِ (١) وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا لَيۡلَةُ ٱلۡقَدۡرِ (٢) لَيۡلَةُ ٱلۡقَدۡرِ خَيۡرٞ مِّنۡ أَلۡفِ شَهۡرٖ (٣) تَنَزَّلُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ فِيهَا بِإِذۡنِ رَبِّهِم مِّن كُلِّ أَمۡرٖ (٤) سَلَٰمٌ هِيَ حَتَّىٰ مَطۡلَعِ ٱلۡفَجۡرِ» (سورة القدر١-٥).

وليلة أثنى الله -تبارك وتعالى- عليها هذا الثناء، وأخبر أنها خير من ألف شهر تدفع المسلم إلى القيام فيها بالطاعة والعبادة وحسن الثناء على الله بما هو أهله، والتوجه إلى الله بالدعاء، وسؤاله المغفرة والرحمة والجنان.

وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وآله وصحبه أجمعين.

تهنئة واجبة

تتقدم أسرة مجلة التوحيد بالتهنئة للابن الكريم / **أحمد محمد أحمد رميح** بمناسبة حصوله على درجة التخصص (الماجستير) بتقدير ممتاز من كلية أصول الدين والدعوة بالزقازيق - جامعة الأزهر، والتي كانت بعنوان (الأحاديث والآثار الواردة في كتاب أسد الغابة لابن الأثير الجزري) المتوفى سنة: ٦٣٠ هـ.

وتكونت لجنة المناقشة والحكم على الرسالة من كل من الأساتذة:

١- **أ.د ممدوح محمد أحمد عليوة** أستاذ الحديث وعلومه ووكيل كلية أصول الدين والدعوة بالزقازيق.

٢- **أ.د سعيد مصطفى عسكر** أستاذ الحديث وعلومه المتفرغ ورئيس قسم الحديث سابقًا بكلية الدراسات العليا - جامعة الأزهر بالقاهرة.

٣- **أ.د هشام فرج حجاب** أستاذ الحديث وعلومه المتفرغ ورئيس قسم الحديث سابقًا بكلية أصول الدين جامعة الأزهر بالقاهرة.

متمنين له دوام التوفيق والسداد

طوفان الأقصى

دروس وعبر

إعداد **د. أيمن خليل**

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله، وبعد..

غـزة:

تمتد غزة على ساحل البحر المتوسط لمساحة ٤٠كم بعمق يتراوح بين ٥كم و١٥كم؛ بمساحة إجمالية ٣٦٠كم. وقد شهدت غزة مولد الإمام الشافعي عام ١٥٠هـ. وكانت غزة تتبع عسقلان، ومن ثم عاشت الحروب المتتابعة التي تعرضت لها بلاد الشام على مدار عصورها.

وحينما اغتصب الكيان الصهيوني فلسطين ليقيموا دولتهم في ١٥ مايو ١٩٤٧م كانت غزة بعيدة عن سلطانهم؛ حيث كانت تحت الإدارة المصرية، ولذا لم يغتصبها الكيان الصهيوني إلا في نكسة ١٩٦٧م مع احتلاله لسيناء.

ولم تتوقف غزة عن المقاومة رغم البطش والتنكيل؛ حتى انتهى الأمر بحكومة السفاح إيريل شارون في عام ٢٠٠٥م إلى الانسحاب من غزة، وتحت فداحة المصاب الذي لحق بجنودهم من جراء بسالة المقاومة، ومن ثم انتهى الوجود الاستيطاني في القطاع.

ولكن بدأ الكيان الصهيوني سياسة أخرى وهي سياسة الافقار والتجويع والتنكيل، فاستولوا على مياه الآبار بغزة، وتحكموا في كميات الكهرباء التي تدخل إليهم، كما أغلقوا عليهم كافة المنافذ التي تربطهم بالعالم، ومن ثم تخضع غزة في تحديد ما يدخل إليهم من طعام ودواء ومعدات لسيطرة الكيان الصهيوني الغاصب، ثم كانت البلية بما عُرف بالجدار العازل الذي أقامه الكيان الصهيوني ليكون أكبر سجن عرفه الانسان، سجن مساحته ٣٦٠كـم٢، ويعيش فيه نحو المليونين من البشر في ظروف

بالغة الصعوبة، ولذا كان السبيل الوحيد أمامهم هو بناء الأنفاق التي مثلت الرئة التي يتنفسون بها؛ ولذا كان حرص الصهاينة الشديد على هدمها وردمها لإحكام قبضتهم على أهل غزة، ثم كانت البلية الكبرى بغلاف غزة الذي طوقهم.

غلاف غزة:

في ١٢ سبتمبر ٢٠٠٥م انسحب الجيش الإسرائيلي من غزة، وانتهى الوجود الاستيطاني في القطاع.

وعقب الانسحاب أنشأت إسرائيل «منطقة عازلة» على طول الحدود البرية مع القطاع؛ تمتد بجدار خرساني مكوّن من عدة طبقات تحت الأرض بعمق تسعة أمتار حتى يستحيل معه بناء الأنفاق، وبقيت عشرات المستوطنات القريبة منه يطلق عليها غلاف غزة؛ حيث يبلغ عددها نحو ٥٠ مستوطنة، وتقع في مسافة تبلغ نحو ٤٠ كيلومترًا في محيط القطاع.

وقامت حكومة الكيان الصهيوني ببناء جدار إسمنتي من عدة طبقات أسفل سطح الأرض على طول الحدود مع قطاع غزة، في محاولة لمنع وصول أنفاق المقاومة إلى البلدات والمعسكرات الإسرائيلية المحاذية للقطاع. كما قدمت حكومة الكيان الصهيوني مغريات كبيرة لسكان المستوطنات في غلاف غزة من أجل جذبهم للسكن فيها والبقاء كحاجز جغرافي وديموغرافي بين قطاع غزة والضفة الغربية، مما يمنع مستقبلًا قيام دولة فلسطينية متصلة الأطراف، فضلًا عن تطويق قطاع غزة وتقييد حرية فصائل المقاومة في الوصول إلى أهداف أكثر عمقًا.

وهذه المستعمرات التي تسمى بالمستوطنات ليست وليدة المصادفة، وإنما هي تخطيط صهيوني يرجع لعقود عديدة مضت؛ كوّن الصهاينة من أجله الصندوق القومي اليهودي، وأسّسوا النحال، والكيبوتس، لتتضافر هذه الجهود لإنشاء هذه المستوطنات في كافة أنحاء فلسطين.

الصندوق القومي اليهودي:

الصندوق القومي اليهودي (الكيرن كييمت)، والذي يُعرف أيضًا بالصندوق الدائم (لإسرائيل)، هو منظمة صهيونية اقترح تأسيسها عالم الرياضيات اليهودي هرمان شابيرا عام١٨٨٤ ، وتأسست بالفعل في عام ١٩٠١، وقد نص قرار إنشائه على حصر استخدام أمواله في تملك الأراضي أو أي حقوق فيها في المنطقة التي تضم فلسطين وسورية وأي أجزاء أخرى من تركيا الآسيوية وشبه جزيرة سيناء؛ بهدف توطين اليهود فيها بحيث تعتبر هذه الأراضي ملكًا أبديًا لليهود لا يجوز بيعها أو التصرف بها عن غير طريق تأجيرها.

وأصبح هذا الصندوق وسيلة لجمع الأموال من اليهود لشراء الأراضي في فلسطين العثمانية، وإقامة المستعمرات اليهودية، ثم في فلسطين تحت الانتداب البريطاني ولاحقًا إسرائيل والضفة الغربية وقطاع غزة لإقامة مستوطنات يهودية.

وفي عام ١٩٦١ وقعت اتفاقية لتنظيم علاقة الصندوق بحكومة الكيان الصهيوني حددت فيها مهامه ومصادر تمويله، وهي تبرعات يهود العالم وريع العقارات المؤجرة.

وهذا الصندوق اليهودي العالمي ليس كالصناديق العربية التي تقوم ببيع

الأصول، وإنما هدفه الشراء وليس البيع، ولذا في ٢٠٠٧ كان الصندوق يملك حوالي ١٣٪ من مجمل الأراضي في إسرائيل، ثم جرى تعديل مهام الصندوق فتحوّلت من شراء الأراضي إلى استصلاحها وتشجيرها والمساعدة على استيعاب المهاجرين الجدد وتوفير فرص العمل والخدمات الصحية لهم، والإسهام في بناء «قرى الناحال» بالتنسيق مع الجيش، وتمويل التعليم الصهيوني في (إسرائيل) وخارجها.

الناحال:

الناحال اختصار بالعبرية للكلمات «نوعار حلوتسي لوحيم»؛ أي «الشباب الطلائعي المحارب»، هي تسمية برنامج شبه عسكري للجيش الإسرائيلي يجمع ما بين الخدمة العسكرية وتأسيس مستوطنات يهودية زراعية، عادة في أماكن نائية.

وقد تأسس الناحال في صيف العام ١٩٤٨ ككتيبة شباب تعمل من أجل تحضير المجندين للانخراط في الجيش الإسرائيلي. ومن أهدافه: الاستمرار في العمل المشترك بين حركات الشبيبة الطلائعية والتيارات الاستيطانية. وقد اعترف الكنيست الإسرائيلي بناحال كفرقة رسميًا في العام ١٩٤٩م. وأقرت الكنيست الأولى ضمن قانون الخدمة الأمنية أنه بعد انتهاء خدمة كل جندي عليه أن يقدم خدمة اثني عشر شهرًا في المجال الزراعي، ولم يتحقق هذا البند من القانون سوى في الناحال التي تمكنت من الدمج بين فترات من الخدمة العسكرية وبين العمل الزراعي في الكيبوتسات. وأنشأ الناحال أكثر من مئة موقع في المناطق الحدودية والتي تحولت إلى مستوطنات لهؤلاء الصهاينة.

كيبوتس:

كيبوتس هو مستوطنة زراعية وعسكرية، وهي عبارة عن تجمع سكني تعاوني يضم جماعة من المزارعين أو العمال اليهود الذين يعيشون ويعملون سويًا، ويصل عددهم إلى ١٥٠٠ عضو.

وهي من أهم المؤسسات التي استندت إليها الحركة الصهيونية في فلسطين قبل ١٩٤٨م، وهو كيان مستقل إداريًا على السلطات المحلية، ويوفر خدمات تعلمية وصحية وحرفية معتمدًا على جهود ذاتية للمقيمين فيه، ويلقى دعمًا من الدولة العبرية، وقد اختُرِع هذا الأسلوب في الإدارة لكي يعالج إشكالية وجود الأقلية اليهودية في فلسطين قبل إقامة دولتهم؛ بحيث يحتكم اليهود فيما بينهم لقواعد وقوانين وتشريعات تخصهم وحدهم ولا يلجأون لأجهزة الدولة؛ إذ إنهم لا يؤمنون بمعتقدات تلك الدولة أو شرائعها.

والكيبوتس من أهم المؤسسات التي أثرت على الحياة السياسية والاجتماعية في إسرائيل، وهو مؤسسة فريدة مقصورة على المجتمع الصهيوني؛ إذ لا توجد أي مؤسسة تضاهيها في دول الشرق الأوسط بل وخارجه.

ومن أبناء الكيبوتس البارزين دافيد بن جوريون، وشمعون بيريز، وموشى ديان، وحتى عام ١٩٦٧م كان ثلث الوزراء في الكيان الصهيوني من أعضاء الكيبوتس.

ومما عرضناه سلفًا يتبين أن

المستوطنات التي تحيط بغزة هي من الـ«كيبوتس»؛ أي المستعمرات أو المستوطنات التي تجمع بين العمل الزراعي والعسكري (هذا مع الأخذ في الحسبان أن كل الشعب في الكيان الصهيوني من حملة السلاح ومن الجنود بالجيش).

وهذه المستوطنات «كيبوتس» أقامها «الناحال» بدعم من (الكيرن كييمت) الصندوق القومي اليهودي، وبمباركة كاملة من حكومة الكيان الصهيوني.

ومن ثم لا يتصور ما تصوره بعض وسائل إعلام وما تردده أبواقها من أن المقاومة الفلسطينية اعتدت على المدنيين، ومن يردد ذلك إما أنه لا يعلم بماهية هذه الكيانات الصهيونية المترابطة المركبة ذات العلاقات المتداخلة، وإما أنه مُبغض لمن اغتُصبت أرضهم من المستضعفين من أهل غزة، مُحبّ للغاصبين من الصهاينة، والله أعلم بما تكن صدورهم.

رغم أنف الكيان الصهيوني:

لم يقف العدوان الصهيوني على غزة عند حد عزلها عن العالم، وجعلها أكبر سجن عرفه العالم، وإنما قامت بالعديد من العمليات العسكرية ضده أهل غزة؛ كما حدث في عام ٢٠٠٨ في عهد إيهود أولمرت حينما أسفرت الأيام الأولى للعدوان عن مقتل ١٠٣٣ شهيدًا وأكثر من ٤٨٥٠ جريحًا، وزاد العدد بعد الاجتياح البري.

وتكرر الأمر في عام ٢٠١٢م، وفي عام ٢٠١٤م في العدوان السافر الذي عُرف بالجرف الصامد والذي أدى إلى استشهاد نحو ٢٥٠٠ شهيد، وإصابة نحو ١٠٥٠٠ مصاب وهدم البنية الأساسية لغزة بالكامل.

واستمر الأمر ليس في غزة فقط، وإنما وصل إلى القدس بتهجير أهالي أحياء بأكملها والاستيلاء على بيوتهم كما حدث في حي الشيخ جراح وغيره، وتكرر اقتحام المسجد الأقصى لمرات عديدة، وقتل الأبرياء، وظل الأمر كذلك حتى كانت الصفعة المدوية التي تلقاها الكيان الصهيوني في يوم الغفران «كيبيور» ففي ٧ أكتوبر ٢٠٢٣م؛ حيث أفاق العالم على أمر لم يحدث من قبل؛ فشباب المقاومة على دراجاتهم البخارية، والطائرات الشراعية يدوية الصنع، وبأسلحة لا تذكر وبصدورهم العارية؛ لقنوا الصهاينة درسًا قاسيًا لم يحدث منذ تدنيسهم لأرض فلسطين، فهذه أسطورة الجيش الذي لا يُقهر تنهار، وقادته تقع في الأسر بملابسهم الداخلية وليست العسكرية، لتكون صفعة أخرى للاستخبارات الصهيونية التي كانت تغط في سبات عميق، ليهلك من هلك، ويقع في الأسر من يقع؛ وسط ذهول للكيان الصهيوني، حتى وصل الأمر بهذه القلة القليلة إلى تحريك الأساطيل الأمريكية لمساندة الكيان الصهيوني أمام هذه الفئة القليلة؟! فكيف لو كان هذا الكيان يلاقي جيوشًا نظامية تمتلك العدة والعتاد؟!

وهذه الصفعة لم تكن للصهاينة فقط وإنما كانت لكل من يهرول صوبهم ليتخذوا منهم أولياء غافلين عن قول الحق سبحانه: «الَّذِينَ يَتَّخِذُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِن دُونِ الْمُؤْمِنِينَ أَيَبْتَغُونَ عِندَهُمُ الْعِزَّةَ فَإِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا (١٣٩) وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ آيَاتِ اللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا تَقْعُدُوا مَعَهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ إِنَّكُمْ إِذًا مِثْلُهُمْ إِنَّ اللَّهَ جَامِعُ الْمُنَافِقِينَ وَالْكَافِرِينَ فِي جَهَنَّمَ جَمِيعًا» (النساء: ١٣٩- ١٤٠).

وهل نبتغي عندهم العزة؟ كيف والمولى

سبحانه يقول: «مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعِزَّةَ فَلِلَّهِ الْعِزَّةُ» (سورة فاطر: ١٠).

وهذا درسٌ غال نستفيده مما حدث، فمن أراد العزة فليستمسك بحبل الله المتين، ومن أراد النصر فجند الله هم المنصورون، وأما من أراد الاستقواء بهم فقد رآهم رأي العين وهم يفرون من شباب بدراجاتهم البخارية بلا طائرات ولا دبابات ولا أسلحة لا ثقيلة ولا خفيفة تذكر. يفرون وهم يجمحون من شدة الرعب من شباب المقاومة، وتأمل قول الحق سبحانه: «لَأَنْتُمْ أَشَدُّ رَهْبَةً فِي صُدُورِهِمْ مِنَ اللَّهِ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ (١٣) لَا يُقَاتِلُونَكُمْ جَمِيعًا إِلَّا فِي قُرًى مُحَصَّنَةٍ أَوْ مِنْ وَرَاءِ جُدُرٍ بَأْسُهُمْ بَيْنَهُمْ شَدِيدٌ تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّى ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْقِلُونَ» (سورة الحشر: ١٣-١٤).

إسرائيل تعلن رسميًا أنها في حالة حرب:

للمرة الأولى منذ حرب العاشر من رمضان ١٣٩٣هـ - السادس من أكتوبر ١٩٧٣م التي تعلن فيها إسرائيل رسميًا أنها في حالة حرب، فلم تعلن ذلك في أيِّ عدوان لها سابقًا على غزة، أو في اجتياح جنوب لبنان، ويهيئ إعلان حالة الحرب الرأي العام الإسرائيلي لاحتمال سقوط أعداد كبيرة من القتلى، كما يمنح الإعلان حكومة إسرائيل صلاحيات واسعة، من بينها: استدعاء قوات الاحتياط، وتسخير الموارد اللوجستية ووضعها تحت تصرُّف الجيش. ووقَّع وزير الدفاع الإسرائيلي يوآف جالانت قرارًا باستدعاء جنود الاحتياط للخدمة. وقام الجيش الإسرائيلي بتعبئة ٣٠٠ ألف من جنود الاحتياط منذ يوم السبت ٧/ ١٠ / ٢٠٢٣م.

كما يعطي إعلان حالة الحرب الحق لإسرائيل لكي تتخذ كل ما تراه مناسبًا من خطوات عسكرية ضد قطاع غزة وليس حماس فقط.

وهذا ما يوحي بأن هناك أمرًا مبرمًا للتنكيل بأهل غزة والبطش بهم والاستيلاء على ديارهم، ومن المعلوم أن نتنياهو رئيس الوزراء الحالي كان وزيرًا للمالية في حكومة شارون، وقدَّم استقالته اعتراضًا على انسحاب الكيان الصهيوني من غزة، ومن ثم فربما يخطِّط لإجلائهم من أرضهم وإخراجهم من ديارهم، للاستيلاء عليها، وربما دفعهم للفرار نحو سيناء، للقضاء على القضية الفلسطينية برُمَّتها. والله من ورائهم محيط؛ نسأل الله سبحانه أن يرد كيدهم عن إخواننا في نحورهم، وأن يجعل تدبيرهم في تدميرهم اللهم آمين.

مساندة الغرب المطلقة للكيان الصهيوني:

رغم أن دول العالم الغربي تدعم القرم ضد استيلاء روسيا عليها، وتعمل جاهدة لنصرة أوكرانيا ضد روسيا، وتؤكد بعض الحركات الانفصالية تحت مسمى حق تقرير المصير، ودعمت انشطار السودان، إلا أنه فيما يتعلق بفلسطين فالوضع مختلف؛ فلم يقل واحد منهم أن ما تسميه وسائل الإعلام بغلاف غزة هو أرض فلسطينية ترزح تحت الاحتلال الصهيوني الغاصب منذ عقود، وأنه من حق الشعب الفلسطيني أن يستعيدها، وكل أرض فلسطين، فإننا نجد على العكس من ذلك تسمية مقاومة الاحتلال الغاصب بالحركات الإرهابية، بينما يسمون قصف

المدنيين الأبرياء والشيوخ الفواني والأطفال الرضع بحق الدفاع المشروع.

ويبرّر الغرب ذلك بأن الكيان الصهيوني هو الدولة الديمقراطية الوحيدة في المنطقة؛ فهي البلد الوحيد الذي يتم التداول السلمي للسلطة فيه، وحرية انتخاب ممثليه دون تزوير لإرادة الناخبين، فضلاً عن أنه البلد الوحيد الذي يتم محاسبة المسؤول أيًا كان موقعه عن أخطائه بل وإقالته؛ وسجنه إن لزم الأمر كما حدث حينما سجن رئيس وزرائه إيهود أولمرت بسبب تهمة الفساد، فضلاً عن أنه البلد الوحيد في المنطقة الذي يملك إعلامًا حرًا غير مُوجّه يُمثل صالح الشعب ولا يسبّح بحمد حاكميه، ولا يتفوّه بغير الحقيقة.

وهو ما يستفاد منه أن الغرب لا يمكن بحال من الأحوال أن يناصر الدول التي لا تستمد وجودها وشرعيتها من الإرادة الشعبية، الحكومات التي تمثل شعوبها وتعبّر بصدق عن آلامهم وأحلامهم، وتسعى لتحقيق مصالح هذه الشعوب، كما أن الغرب لا يمكن أن يقيم وزنًا أو احترامًا لدول يوجه إعلامها ليسبح بحمد ملوكه وأمرائه ليل نهار، ويبرر خطأهم مهما كانت فداحته، ولو صدقتهم محبتهم لصدقوا في نصحهم، كما قال ابن الجوزي -عليه رحمة الله- : «يا أمير المؤمنين! أنا إن تكلمت خفتُ منك، وإن سكتُّ خفتُ عليك... وأنا أقدم خوفي عليك على خوفي منك فأقول لك: يا أمير المؤمنين اتق الله؛ فإنه من يقول لك اتق الله خير ممن يقول لك إنك من أهل بيت مغفور لهم».

كما يُستفاد من ذلك أن الغرب لا يمكنه أن يُناصر قضيتنا لاختلال موازينهم، وإدراك رضاهم غاية لا تُدرك فكيف بنصرتهم؟! وقد بيّن المولى سبحانه ذلك في قوله عز وجل: «وَلَن تَرْضَى عَنكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَى حَتَّى تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ قُلْ إِنَّ هُدَى اللَّهِ هُوَ الْهُدَى وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُم بَعْدَ الَّذِي جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ» (البقرة: ١٢٠).

التخلي عن نصرة إخواننا المستضعفين غير جائز:

يجد البعض حرجًا في صدورهم من مناصرة إخوانهم في فلسطين أو المستضعفين في شتى ربوع الأرض ويؤثرون السلامة، بل وربما ضنّوا عليهم بالدعاء، وفي هذا من الخذلان ما فيه.

ولا ينتبه هؤلاء إلى فرح النبي صلى الله عليه وسلم والصحابة بنصر الله للروم -وهم أهل كتاب- على الفرس المجوس، فيقول سبحانه وتعالى: «الم (١) غُلِبَتِ الرُّومُ (٢) فِي أَدْنَى الْأَرْضِ وَهُم مِّن بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ (٣) فِي بِضْعِ سِنِينَ لِلَّهِ الْأَمْرُ مِن قَبْلُ وَمِن بَعْدُ وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ (٤) بِنَصْرِ اللَّهِ يَنصُرُ مَن يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ» (سورة الروم: ١- ٥)؛ أي: ويوم تغلب الروم فارسًا يفرح المؤمنون بنصر أهل الكتاب على المشركين عبَدة النار.

فكيف لا يسعد مسلم حينما يجد الكيان الصهيوني الغاصب وقد تمرغ أنفه في التراب، وانهارت أسطورة مخابراته التي لا تبارى، وجيشه الذي لا يُقهر؛ أمام شباب مؤمن بربه؛ مُوقن بحقه في تطهير أرضه من دنس عدوه، لقّن عدوّه درسًا قاسيًا لن ينساه لعقود قادمة.

نسأل الله أن يمدهم بمدده، وأن يرد عنهم كيد عدوهم، وهو إن شاء سبحانه ناصرهم وإن خذلهم الناس.

والحمد لله رب العالمين.

طعم الإيمان وحلاوته

إعداد: د. جمال المراكبي

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله، وبعد، فعن أنس بن مالك رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم، قال: "ثلاثٌ مَنْ كُنَّ فيه وجَدَ حَلاوَةَ الإيمانِ، أنْ يَكونَ اللَّهُ ورَسولُهُ أحَبَّ إلَيْهِ ممَّا سِواهُما، وأَنْ يُحِبَّ المَرْءَ لا يُحِبُّهُ إلا لِلَّهِ، وأَنْ يَكْرَهَ أنْ يَعُودَ في الكُفْرِ كما يَكْرَهُ أنْ يُقْذَفَ في النَّارِ". أخرجه البخاري في كتاب الإيمان باب حلاوة الإيمان، حديث رقم ١٦، وأخرجه مسلم في كتاب الإيمان، وفيه "فقد وجد طعم الإيمان"، وفي رواية: "وجد طعم الإيمان وحلاوته" حديث رقم ٤٣.

وعَنِ الْعَبَّاسِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ رضي الله عنه أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللَّه صلى الله عليه وسلم يَقُولُ: "ذَاقَ طَعْمَ الإيمان، مَنْ رَضِيَ بِاللهِ رَبًّا، وَبِالإِسْلامِ دِينًا، وَبِمُحَمَّدٍ رَسُولاً". أخرجه مسلم في "كتاب الإيمان" حديث رقم ٣٤، وانفرد به عن البخاري، وأخرجه الترمذي في "كتاب الإيمان" "باب من ذاق طعم الإيمان".

ففي حديث أنس: وجد حلاوة الإيمان، وفي حديث العباس: ذَاقَ طَعْمَ الإيمان، فطعم الإيمان حلو..

ومن رضي بالله ربًا وَبِالإِسْلامَ دِينًا، وَبِمُحَمَّدٍ نبيا ورَسُولاً كان الله أحب اليه من كل شيء سواه.. وأضحى النبي أحب اليه من كل مخلوق سواه.. يحبه أكثر من والده وولده والناس أجمعين ومن نفسه التي بين جنبيه.

قال ابن رجب في شرح البخاري: "فهذه الثلاث خصال من أعلى خصال الإيمان؛ فمن كملها فقد وجد حلاوة الإيمان وطعمه. فالإيمان له حلاوة تُذاق بالقلوب كما تُذاق حلاوة الطعام والشراب بالفم؛ فإن الإيمان هو غذاء القلوب كما أن الطعام والشراب غذاء الأبدان".

وكما أن الجسد لا يجد حلاوة الطعام والشراب إلا عند صحته، فإذا سقم لم يجد حلاوة ما ينفعه من ذلك، بل قد يستحلي ما يضره وما ليس فيه حلاوة لغلبة السقم عليه.. انظر إلى شارب الخمر ومتعاطي الدخان والمخدرات كيف يدمن ما هو خبيث طعمه ورائحته، ويقدم ذلك الخبيث على كل ما هو طيب من الأطعمة والأشربة.

وانظر إلى الزاني كيف

يترك الحلال الطيب والزوجة العفيفة، ويسعى وراء كل ما هو خبيث من الساقطات والعاهرات.

فكذلك القلب إنما يجد حلاوة الإيمان إذا سلم من أسقامه وآفاته، فإذا سلم من الأهواء المضلة والشهوات المحرمة وجد حلاوة الإيمان حينئذ، ومتى مرض وسقم لم يجد حلاوة الإيمان، بل يستحلي ما فيه هلاكه من الأهواء والمعاصي.

ومن هنا قال صلى الله عليه وسلم: "لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن، ولا يشرب الخمر حين يشربها وهو مؤمن" (أخرجه مسلم ٥٧)؛ لأنه لو كمل إيمانه لوجد حلاوة الإيمان، فاستغنى بها عن استحلاء المعاصي.

سئل بعض العابدين: هل يجد طعم الإيمان من يعصي الله؟

قال: لا، ولا من هم بالمعصية.

وكما لا يجد الجسد لذة الطعام عند مرضه، كذلك لا يجد القلب حلاوة العبادة مع الذنوب ومتابعة الأهواء والشبهات؛ فمن جمع هذه الخصال الثلاثة فقد وجد حلاوة الإيمان وذاق طعمه:

الخصلة الأولى: أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما.

ومحبة الله تنشأ من معرفته سبحانه، وتنشأ من مطالعة النعم التي أنعم بها على عباده، ومعرفة الله عز وجل تحصل من معرفة أسمائه وصفاته وأفعاله الباهرة، والتفكر في مصنوعاته وما فيها من الإتقان والحكم والعجائب؛ فإن ذلك كله يدل على كماله وقدرته وحكمته وعلمه ورحمته.

ومطالعة النعم التي أنعم الله بها على عباده توجب محبته عز وجل؛ فإن العبد مجبول على محبة من أحسن اليه، وفي الحديث: "أحبُّوا الله لما يغذوكم من نعمه". خرّجه الترمذي.

ومن أحب الله أطاعه؛ قال الحسن: اعلم أنك لن تحب الله حتى تحب طاعته. وقال بعض السلف: من عرف الله أحبه.. ومن أحبه أطاعه. وذلك لأن المحبة تقتضي الطاعة.

ومحبة الله على درجتين

إحداهما: فرض واجب، وهي المحبة المقتضية لفعل أوامره، والانتهاء عن زواجره ونواهيه، والصبر على مقدوراته المؤلمة.

فهذا القدر لا بد منه في محبة الله، ومن لم تكن محبته على هذا الوجه فهو كاذب في دعوى محبة الله. فمن ادعى محبة الله، ولم يحفظ حدوده- فهو كاذب.

فمن وقع في ارتكاب شيء من المحرمات، أو أخلَّ بشيء من فعل الواجبات؛ فلتقصيره في محبة الله، حيث قدم محبة نفسه وهواه على محبة الله؛ فإن محبة الله لو كملت لمنعت من الوقوع فيما يكرهه الله.

وإنما يحصل الوقوع فيما يكرهه الله لنقص محبته الواجبة في القلوب وتقديم هوى النفس على محبته، وبذلك ينقص الإيمان وقد سبق ذكر قول النبي صلى الله عليه وسلم: "لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن".

والدرجة الثانية من المحبة، وهي فضل مستحب:

أن ترتقي المحبة من ذلك إلى التقرب بنوافل الطاعات والانكفاف عن دقائق الشبهات والمكروهات، والرضا بالأقضية المؤلمات.

قال عامر بن عبد قيس (كان ثقة من عباد التابعين وكان يقرئ الناس القرآن): أحببت الله حبًا هوَّن عليَّ كل مصيبة، ورضَّاني بكل بَليَّة، فما أبالي مع حبي إياه على ما أصبحت، ولا على ما أمسيت.

وقال عمر بن عبد العزيز: أصبحت وما لي سرور إلا في مواقع القضاء والقدر!

ولما مات ولده الصالح قال: إن الله أحب قبضه، وأعوذ بالله أن تكون لي محبة تخالف محبة الله!

وأما محبة الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فتنشأ عن معرفته.. ومعرفة كماله

وأوصافه، وعظم ما جاء به(فتح الباري ١/ ٥٠).

عن أبي هريرة عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: "والذي نفسي بيده لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من والده وولده" صحيح البخاري: ١٤.

وخرج البخاري من حديث أنس قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من والده وولده والناس أجمعين" صحيح البخاري: ١٥.

فمحبة النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من أصول الإيمان وهي نابعة من محبة الله عز وجل وتابعة لها

وهي مقترنة بمحبة الله عز وجل في القرآن والسنة.. وقد قرنها الله بها، وتوعد مَن قدم عليها شيئًا من الأمور المحبوبة طبعًا-أي بالطبع والعادة - من الأقارب والأموال والأوطان وغير ذلك.

ولما قال عمر للنبي صلى الله عليه وسلم: أنت أحب إليّ من كل شيء إلا من نفسي! فقال: لا يا عمر حتى أكون أحب إليك من نفسك! فقال عمر: والله، أنت الآن أحب إليّ من نفسي! قال: الآن يا عمر!

فيجب تقديم محبة الرسول- صلى الله عليه وسلم- على النفس والأولاد والأقارب والأهلين والأموال والمساكن، وغير ذلك مما يحبه الناس غاية المحبة.

وينشأ ذلك عن معرفة مرسله وعظمته كما سبق؛ فإن محبة الله لا تتم إلا بطاعته، ولا سبيل إلى طاعته إلا بمتابعة رسوله؛ قال تعالى: «قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ» (آل عمران: ٣١).

قال الحسن: قال أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم: يا رسول، الله إنا نحب ربنا حبا شديدا؛ فأحب الله أن يجعل لحبه علما فأنزل الله تعالى هذه الآية.

ومن هنا يعلم أنه لا تتم شهادة أن لا إله إلا الله إلا بشهادة أن محمدا رسول الله؛ فإنه إذا علم أنه لا تتم محبة الله إلا بمحبة ما يحبه وكراهة ما يكرهه.

ولا طريق إلى معرفة ما يحبه الله وما يكرهه إلا من جهة النبي محمد صلى الله عليه وسلم المبلغ عن الله ما يحبه وما يكرهه، فصارت محبة الله مستلزمة لمحبة رسوله وتصديقه ومتابعته.

ولهذا قرن الله بين محبته ومحبة رسوله في آية التوبة: «قُلْ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ وَإِخْوَٰنُكُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَٰلٌ ٱقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَٰرَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَٰكِنُ تَرْضَوْنَهَآ أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَجِهَادٍ فِى سَبِيلِهِۦ فَتَرَبَّصُوا۟ حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ» (التوبة: ٢٤).

كما قرن بين طاعته وطاعة رسوله في حديث حلاوة الإيمان: "ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الإيمان: أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما، وأن يحب المرء لا يحبه إلا لله، وأن يكره أن يرجع إلى الكفر بعد إذ أنقذه الله منه، وأن يكره أن يلقى في النار".

هذا حال السحرة لما سكنت المحبة قلوبهم، سمحوا ببذل نفوسهم، قالوا لفرعون: "اقض ما أنت قاض"

«قَالُوا۟ لَن نُّؤْثِرَكَ عَلَىٰ مَا جَآءَنَا مِنَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلَّذِى فَطَرَنَا ۖ فَٱقْضِ مَآ أَنتَ قَاضٍ ۖ إِنَّمَا تَقْضِى هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَآ» (طه: ٧٢)؛

قال السعدي: "لما عرف السحرة الحق، ورزقهم الله من العقل ما يدركون به الحقائق، أجابوا فرعون بقولهم: «لَن نُّؤْثِرَكَ عَلَى مَا جَاءَنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ» أي: لن نختارك وما وعدتنا به من الأجر والتقريب، على ما أرانا الله من الآيات البينات الدالات على أن

الله هو الرب المعبود وحده، المعظم المبجل وحده، وأن ما سواه باطل. ونؤثرك على الذي فطرنا وخلقنا، هذا لا يكون «فَاقْضِ مَا أَنْتَ قَاضٍ» مما أوعدتنا به من القطع، والصلب، والعذاب.

«إِنَّمَا تَقْضِي هَٰذِهِ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا»؛ أي: إنما توعدنا به غاية ما يكون في هذه الحياة الدنيا، ينقضي ويزول ولا يضرنا، بخلاف عذاب الله، لمن استمر على كفره، فإنه دائم عظيم.

وهذا كأنه جواب منهم لقوله: «وَلَتَعْلَمُنَّ أَيُّنَا أَشَدُّ عَذَابًا وَأَبْقَىٰ»؛ وفي هذا الكلام، من السحرة، دليل على أنه ينبغي للعاقل، أن يوازن بين لذات الدنيا، ولذات الآخرة، وبين عذاب الدنيا، وعذاب الآخرة". انتهى

ومتى تمكنت المحبة في القلب لم تنبعث الجوارح إلا إلى طاعة الرب.

وهذا هو معنى الحديث القدسي الذي خرجه البخاري في صحيحه «من عادى لي وليا فقد آذنته بالحرب.. وما تقرب إليَّ عبدي بشيء أحب إليَّ مما افترضته عليه، ولا يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه؛ فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، ويده التي يبطش بها، ورجله التي يمشي بها»، وفي بعض الروايات: "فبي يسمع، وبي يبصر، وبي يبطش، وبي يمشي".

والمعنى أن محبه الله إذا استغرق بها القلب، واستولت عليه لم تنبعث الجوارح إلا إلى مراضي الرب، وصارت النفس حينئذ مطمئنة، ففنيت بإرادة مولاها عن مرادها وهواها.

قال ابن رجب ومحبة الرسول صلى الله عليه وسلم على درجتين أيضًا:

إحداهما: فرض، وهي ما اقتضى طاعته في امتثال ما أمر به من الواجبات، والانتهاء عما نهى عنه من المحرمات، وتصديقه فيما أخبر به من المخبرات والرضا بذلك.

وأن لا يجد في نفسه حرجًا مما جاء به، ويسلم له تسليمًا، وأن لا يتلقى الهدى من غير مشكاته، ولا يطلب شيئا من الخير إلا ما جاء به.

الدرجة الثانية: فضل مندوب إليه، وهي ما ارتقى بعد ذلك إلى اتباع سنته وآدابه وأخلاقه، والاقتداء به في هديه وسمته وحسن معاشرته لأهله وإخوانه، وفي التخلق بأخلاقه الظاهرة في الزهد في الدنيا، والرغبة في الآخرة، وفي جوده وإيثاره وصفحه وحلمه واحتماله وتواضعه.

وفي أخلاقه الباطنة، من كمال خشيته لله ومحبته له وشوقه إلى لقائه، ورضاه بقضائه، وتعلق قلبه به دائما، وصدق الالتجاء إليه، والتوكل والاعتماد عليه، وقطع تعلق القلب بالأسباب كلها، ودوام لهج القلب واللسان بذكره، والأنس به والتنعم بالخلوة بمناجاته ودعائه، وتلاوة كتابه بالتدبر والتفكر.

وفي الجملة: فكان خُلقه -صلى الله عليه وسلم- القرآن، يرضى لرضاه ويسخط لسخطه، فأكمل الخلق من حقق متابعته وتصديقه قولا وعملا وحالا، وهم الصديقون من أمته وعلى رأسهم أبو بكر خليفته من بعده، وهم أعلى أهل الجنة درجة بعد النبيين

قال صلى الله عليه وسلم: "إن أهل الجنة ليتراءون أهل الغرف من فوقهم، كما تتراءون الكوكب الدري الغابر من الأفق من المشرق إلى المغرب لتفاضل ما بينهم"؛ قالوا " يا رسول الله، تلك منازل الأنبياء ما يبلغها غيرهم! قال: «إي والذي نفسي بيده، رجال آمنوا بالله وصدقوا المرسلين» متفق عليه(فتح الباري ١/٥٣).

والله من وراء القصد.

سرية

كعب بن الأشرف

الحمد لله رب العالمين وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله صلى الله عليه وسلم. أما بعد: فمن الأحداث التي أثير حولها كثير من التساؤلات حدث مقتل كعب بن الأشرف اليهودي؛ فلماذا ومتى وكيف قتل؟ وهل كان اعتداءً أم عقابًا عادلاً؟ هذا ما نبينه إن شاء الله في هذا العدد.

إعداد د. سيد عبد العال
إمام وخطيب بوزارة الأوقاف

أولا: ذكر الحدث مجملا:

عن جابر رضي الله عنه أنَّ رَسُولَ اللَّه- صلى الله عليه وسلم- قَالَ: "مَنْ لكَعْب بن الأَشْرَف؟ فَإِنَّهُ قَدْ آذَى اللَّه وَرَسُولَهُ"، فَقَامَ مُحَمَّدُ بنُ مَسْلَمَةَ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّه أَتُحِبُّ أَنْ أَقْتُلَهُ؟ قَالَ: "نَعَمْ". قَالَ: فَائْذَنْ لي أَنْ أَقُولَ شَيْئًا، قَالَ: "قُلْ"، فَذَهَبَ مُحَمَّدُ بنُ مَسْلَمَةَ إلَى كَعْب بن الأَشْرَف، فَقَالَ لَهُ: إنَّ هَذَا الرَّجُلَ-أَيْ رَسُولَ اللَّه- صلى الله عليه وسلم- قَدْ سَأَلَنَا صَدَقَةً، وَإِنَّهُ قَدْ عَنَّانَا، وَإِنِّي قَدْ أَتَيْتُكَ أَسْتَسْلِفُكَ؟ قَالَ: وَأَيْضًا وَاللَّه لَتَمَلُّنَّهُ.

فَقَالَ مُحَمَّدُ بنُ مَسْلَمَةَ: إنَّا قَد اتَّبَعْنَاهُ؛ فَلاَ نُحبُّ أَنْ نَدَعَهُ حَتَّى نَنْظُرَ إلَى أَيِّ شَيْءٍ يَصيرُ شَأْنُهُ، وَقَدْ أَرَدْنَا أَنْ تُسْلفَنَا وَسْقًا أَوْ وَسْقَيْن.

قَالَ كَعْبٌ: نَعَمْ أَرْهنُوني.

قَالَ مُحَمَّدُ بنُ مَسْلَمَةَ: أَيَّ شَيْءٍ تُريدُ؟

قَالَ كَعْبٌ: أَرْهنُوني نسَاءَكُمْ؟

فَقَالَ مُحَمَّدُ بنُ مَسْلَمَةَ: كَيْفَ نَرْهَنُكَ نسَاءَنَا وَأَنْتَ أَجْمَلُ العَرَب؟

قَالَ كَعْبٌ: فَأَرْهنُوني أَبْنَاءَكُمْ.

قَالَ مُحَمَّدُ بنُ مَسْلَمَةَ: كَيْفَ نَرْهَنُكَ أَبْنَاءَنَا، فيُسَبُّ أَحَدُهُمْ؟ فيُقَالُ: رُهنَ بوَسْقٍ أَوْ وَسْقَيْن هَذَا عَارٌ عَلَيْنَا، وَلَكنَّا نَرْهَنُكَ اللَّأْمَةَ، يَعْني السِّلاَحَ.

فَوَاعَدَهُ مُحَمَّدُ بنُ مَسْلَمَةَ أَنْ يَأْتيَهُ بالسِّلاَح. (صحيح البخاري- كتاب المغازي، باب قتل كعب بن الأشرف؛ صحيح مسلم- كتاب الجهاد والسير- باب قتل كعب بن الأشرف طاغوت اليهود).

وَصَنَعَ أَبُو نَائلَةَ مثْلَ مَا صَنَعَ مُحَمَّدُ بنُ مَسْلَمَةَ... وَأَرَادَ محمد وأبو نائلة: أَنْ لا يُنْكرَ السِّلاحَ إذَا جَاءُوا به... سيرة ابن إسحاق- (٢٩٨/٣)، وابن هشام (٥٥/٢).

وَفي لَيْلَة مُقْمرَة-لَيْلَةَ الرَّابع عَشَرَ منْ شَهْر رَبيع الأَوَّل منَ السَّنَة الثَّالثَة للْهجْرَة- انطلق هؤلاء الأبطال من عند رسول الله صلى الله عليه وسلم؛ فعَن ابْن عَبَّاس، قَالَ: مَشَى مَعَهُمْ رَسُولُ اللَّه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ، إلَى بَقيع الْغَرْقَد، ثُمَّ وَجَّهَهُمْ وَقَالَ:

"انطلقوا على اسم الله"، وقال: "اللهمَّ أعنهُم" أخرجه أحمد (٢٣٩١) بسند صحيح، وحسنه الألباني في الإرواء (١١٩١)من أجل ابن إسحاق، والراجح أنه إمام في المغازي، وحديثه صحيح إن صرح بالتحديث وقد صرح به فالحديث صحيح.

وأقبلوا حتى انتهوا إلى حصن كعب بن الأشرف؛ فهتف به أبو نائلة، فقام؛ لينزل إليهم، فقالت له امرأته -وكان حديث عهد بعرس- أين تخرج هذه الساعة؟

فقال: إنما هو أخي محمد بن مسلمة، ورضيعي أبو نائلة، قالت: أسمع صوتًا كأنه يقطر منه الدم.

قال: إنما هو أخي محمد بن مسلمة، ورضيعي أبو نائلة، إن الكريم لو دعي إلى طعنة بليل لأجاب، ثم خرج إليهم، وهو متطيب ينفح رأسه.

وكان أبو نائلة قال لأصحابه: إذا ما جاءني فإني آخذ بشعره فأشمه، فإذا رأيتموني استمكنت من رأسه، فدونكم فاضربوه.

فلما نزل كعب إليهم تحدث معهم ساعة، وتحدثوا معه، ثم قال له أبو نائلة: هل لك يا ابن الأشرف أن نتماشى إلى شعب العجوز، فنتحدث بقية ليلتنا؟

قال: إن شئتم؛ فخرجوا يتماشون، فقال أبو نائلة وهو في الطريق: ما رأيت كالليلة طيبًا أعطر قط! فقال كعب: عندي أعطر نساء العرب؛ فقال أبو نائلة: أتأذن لي أن أشم رأسك؟ قال: نعم؛ فأدخل يده في رأسه فشمه، ثم مشى ساعة، ثم قال أبو نائلة: أعود-أي لشم رأسه- قال كعب: نعم، فعاد لمثلها حتى اطمأن؛ ثم مشى ساعة، ثم قال أبو نائلة: أعود-أي لشم رأسه- قال كعب: نعم، فأدخل يده في رأسه، فلما استمكن منه، قال أبو نائلة لأصحابه: دونكم عدو الله، فاختلفت عليه أسيافهم، لكنها لم تغن شيئًا، فأخذ محمد بن مسلمة معولًا، فوضعه في ثنته، ثم تحامل عليه حتى بلغ عانته، فوقع عدو الله قتيلًا، وكان قد صاح صيحة شديدة أفزعت من حوله، فلم يبق حصن إلا أوقدت عليه النيران.

ورجعت هذه المجموعة، وقد أصيب الحارث بن أوس بذباب بعض سيوف أصحابه، فجرح ونزف الدم، فلما بلغت هذه المجموعة حرة العريض، رأت أن الحارث ليس معهم؛ فوقفوا ساعة حتى أتاهم يتبع آثارهم، فاحتملوه، حتى إذا بلغوا بقيع الغرقد كبروا، فسمع رسول الله-صلى الله عليه وسلم- تكبيرهم؛ فعرف أنهم قد قتلوه، فكبر، فلما انتهوا إلى رسول الله-صلى الله عليه وسلم-، وذلك من آخر الليل قال-صلى الله عليه وسلم-: "أفلحت الوجوه"، قالوا: ووجهك يا رسول الله، فحمد رسول الله-صلى الله عليه وسلم- الله تعالى على قتله، وتفل على جرح الحارث فبرئ. (البخاري (٣٨١١)، ومسلم (١١٩)، وانظر: الرحيق المختوم (٢٢٠)، واللؤلؤ المكنون (٥٥٢/٢).

ثانيا: الدروس والعبر:

١- الفرق بين السرية والغزوة:

السرية: ما أرسل للقتال ولم يخرج فيها النبي صلى الله عليه وسلم؛ والغزوة: ما خرج فيها عليه الصلاة والسلام بذاته الشريفة، إلا مؤتة.. فإنهم يعدونها في المغازي: إما لعظمها، أو لارتفاع معركتها له عليه الصلاة والسلام حتى شاهدها؛ فكأنه حضرها بنفسه الشريفة. إنارة الدجى في مغازي خير الورى صلى الله عليه وآله وسلم (ص٤٢٢).

٢- تاريخ هذه السرية: كانت هذه السرية لأربع عشرة ليلة مضت من شهر ربيع الأول في السنة الثالثة من الهجرة. عيون الأثر (٣٤٨/١).

٣- من هو كعب بن الأشرف؟

كعب بن الأشرف يهودي من أشد اليهود عداوة للرسول وأصحابه، وكان أبوه عربيًا من قبيلة طيء، من بني نبهان، وكان أصاب دمًا في الجاهلية، فأتى المدينة: فحالف بني النضير؛ فشرف فيهم، وتزوج عقيلة بنت أبي الحقيق، فولدت له كعبًا، وكان طويلًا جسيمًا، ذا بطن وهامة، وكان شاعرًا مجيدًا، ساد يهود الحجاز؛ بكثرة ماله؛ وكان حصنه شرقي جنوب المدينة في خلفيات ديار بني النضير. (فتح الباري (٧٧/٨)، والطبقات الكبرى (٢٦٥/٢)، وسيرة ابن هشام (٤٦/٣و٣١٨).

٤- قوله "من لكعب بن الأشرف، فإنه قد آذى الله ورسوله" فيه أن سبب مقتله هو حربه للنبي صلى الله عليه وسلم وايذاؤه له، ولم يكن اغتيالا ولا غدرًا، وانما كان عقوبة رآها ولي الأمر، ونفذت بأمره وتحت سمعه وبصره؛ فلا لوم فيه إلا عند من لم ينظر في سبب القتل، ولا حجة فيه على الاغتيال ولا على قتل يقع بغير إذن ولي الأمر وادارته، إلا عند من لم يحترم ولاية النبي صلى

اللهِ عليه وسلم وقد ورد في بيان السبب أحاديث أخرى منها حديث عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَبْدِ اللهِ ابْنِ كَعْبِ بْنِ مَالِكٍ، عَنْ أَبِيهِ، وَكَانَ أَحَدَ الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ تِيبَ عَلَيْهِمْ، قال "وَكَانَ كَعْبُ بْنُ الْأَشْرَفِ يَهْجُو النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَيُحَرِّضُ عَلَيْهِ كُفَّارَ قُرَيْشٍ، وَكَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حِينَ قَدِمَ الْمَدِينَةَ، وَأَهْلُهَا أَخْلَاطٌ، مِنْهُمُ الْمُسْلِمُونَ، وَالْمُشْرِكُونَ يَعْبُدُونَ الْأَوْثَانَ، وَالْيَهُودُ وَكَانُوا يُؤْذُونَ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَصْحَابَهُ، فَأَمَرَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ نَبِيَّهُ صلى الله عليه وسلم بِالصَّبْرِ وَالْعَفْوِ؛ فَفِيهِمْ أَنْزَلَ اللهُ: "وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ" (آل عمران: ١٨٦) الْآيَةَ. فَلَمَّا أَبَى كَعْبُ بْنُ الْأَشْرَفِ أَنْ يَنْزِعَ عَنْ أَذَى النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، أَمَرَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سَعْدَ بْنَ مُعَاذٍ أَنْ يَبْعَثَ رَهْطًا يَقْتُلُونَهُ، فَبَعَثَ مُحَمَّدَ بْنَ مَسْلَمَةَ، وَذَكَرَ قِصَّةَ قَتْلِهِ، فَلَمَّا قَتَلُوهُ، فَزِعَتِ الْيَهُودُ وَالْمُشْرِكُونَ؛ فَغَدَوْا عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالُوا: طُرِقَ صَاحِبُنَا فَقُتِلَ؛ فَذَكَرَ لَهُمُ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الَّذِي كَانَ يَقُولُ، وَدَعَاهُمُ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى أَنْ يَكْتُبَ بَيْنَهُ وَبَيْنَهُمْ كِتَابًا، يَنْتَهُونَ إِلَى مَا فِيهِ؛ فَكَتَبَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، بَيْنَهُ وَبَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الْمُسْلِمِينَ عَامَّةً صَحِيفَةً" (أخرجه أبو داود (٣٠٠٠) وهو مرسل صحيح السند إلى عبد الله بن كعب بن مالك. وذكره الألباني في صحيح سنن أبي داود (٢٦٥٤) ثم قال: وهذا إسناد صحيح على شرط البخاري؛ على اعتبار أن المراد بقوله: (أبيه)؛ أي: جده؛ كما هو ظاهر قوله: وكان أحد الثلاثة).

ومنها ما جاء عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قَالَ: لَمَّا قَدِمَ كَعْبُ بْنُ الْأَشْرَفِ مَكَّةَ أَتَوْهُ، فَقَالُوا: نَحْنُ أَهْلُ السِّقَايَةِ وَالسِّدَانَةِ، وَأَنْتَ سَيِّدُ أَهْلِ يَثْرِبَ؛ فَنَحْنُ خَيْرٌ أَمْ هَذَا الصُّنَيْبِيرُ -أي الضعيف المنقطع بلا ناصر- الْمُنْبَتِرُ - أي: لا عقب له- مِنْ قَوْمِهِ يَزْعُمُ؛ أَنَّهُ خَيْرٌ مِنَّا؟ فَقَالَ: أَنْتُمْ خَيْرٌ مِنْهُ، فَنَزَلَ عَلَى رَسُولِ اللهِ "إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ"، وَنَزَلَتْ: "أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِنَ الْكِتَابِ يُؤْمِنُونَ بِالْجِبْتِ وَالطَّاغُوتِ وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا هَؤُلَاءِ أَهْدَى مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا سَبِيلاً" صحيح أخرجه ابن حبان (٦٥٧٢)، وصححه الألباني في صحيح السيرة النبوية (٢٢٥).

وقد ورد أَنَّهُ لَمَّا بَلَغَهُ الْخَبَرُ عَنْ مَقْتَلِ أهل بَدْرٍ؛ قَالَ: وَاللهِ لَئِنْ كَانَ مُحَمَّدٌ أَصَابَ هَؤُلَاءِ الْقَوْمَ لَبَطْنُ الْأَرْضِ خَيْرٌ مِنْ ظَهْرِهَا؛ فَلَمَّا تَيَقَّنَ عَدُوُّ اللهِ الْخَبَرَ خَرَجَ إِلَى مَكَّةَ؛ فَنَزَلَ عَلَى الْمُطَّلِبِ بْنِ أَبِي وَدَاعَةَ؛ فَأَنْزَلَهُ وَأَكْرَمَهُ، وَجَعَلَ يُحَرِّضُ عَلَى قِتَالِ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَيُنْشِدُ الْأَشْعَارَ وَيَنْدُبُ مَنْ قُتِلَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ يَوْمَ بَدْرٍ بقصيدة مطلعها:

طَحَنَتْ رَحَى بَدْرٍ لِمَهْلِكِ أَهْلِهِ
وَلِمِثْلِ بَدْرٍ تَسْتَهِلُّ وَتَدْمَعُ.

ثم ذكر ابن إسحاق شِعْرَ حَسَّانَ في الرَّدِّ عَلَيْهِ قصيدة جاء فيها

وَلَقَدْ شَفَى الرَّحْمَنُ مِنَّا سَيِّدًا
وَأَهَانَ قَوْمًا قَاتَلُوهُ وَصُرِّعُوا

وَلَمْ يَخْرُجْ مِنْ مَكَّةَ حَتَّى أَجْمَعَ أَمْرَهُمْ عَلَى قِتَالِ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ثم قَدِمَ الْمَدِينَةَ يُعْلِنُ بِالْعَدَاوَةِ وَيُحَرِّضُ النَّاسَ عَلَى الْحَرْبِ، وَجَعَلَ يشبب بنسَاءِ الْمسلمين. (السيرة النبوية لابن كثير (١١/٣)، ودلائل النبوة للبيهقي (١٨٧/٣و١٩٠).

قال ابن حجر: وإنما فتكوا به؛ لأنه نقض العهد، وأعان على حرب النبي صلى الله عليه وسلم وهجاه ولم يقع لأحد ممن توجه إليه تأمين له بالتصريح، وإنما أوهموه ذلك، وآنسوه حتى تمكنوا من قتله. (فتح الباري (١٦٠/٦)، وهكذا قال البيهقي في الدلائل (١٩٣/٣)، والبخاري (٣٠٣٢).

٥- وقد اجْتَمَعَ على قَتْلِه: مُحَمَّدُ بْنُ مَسْلَمَةَ، وَأَبُو نَائِلَةَ، وَعبد بْنُ بِشْرٍ أَحَدُ بَنِي عَبْدِ الْأَشْهَلِ، وَالْحَارِثُ بْنُ أَوْسِ بْنِ مُعَاذٍ وَأَبُو عَبْسِ بْنُ جَبْرٍ. (السيرة النبوية لابن كثير (١٢/٣).

ولا شك أن هذا العقاب كان قطعًا لدابر الفتنة والشر الذي أقدم على إثارته اليهود في صورة كعب بن الأشرف، وفي هذا الخبر مسائل وفوائد وقواعد وأثير حوله شبهات نذكر بعضها في العدد القادم إن شاء الله تعالى، والحمد لله رب العالمين.

النُّصح المبين للمُربِّين والمدرِّسين

إعداد **الدكتور عبد القادر فاروق**

موجه بمجمع البحوث وعضو
لجنة الفتوى بالمعادي سابقا

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه وسلم أجمعين، وبعد؛ فهذه بعض النصائح المهمة للمربين والمدرسين بمناسبة بدء العام الدراسي الجديد؛ الذي نسأل الله تعالى أن يكون عام نجاح وتوفيق لكل أبناء المسلمين، وأن يجعل نجاحهم عونًا لهم على طاعة ربهم سبحانه وتعالى؛ إنه ولي ذلك والقادر عليه. اللهم آمين.

١- يجب على المربين والمدرسين أنْ يغرسوا في نفوس الأولاد العقيدة الصحيحة، والأخلاق الحميدة، والمحافظة على الصلاة، والمداومة على أذكار الصباح والمساء وغيرها، وأنْ يربوهم على التوحيد الخالص لله تعالى منذ نعومة أظفارهم وأنْ يُحفظوهم معنى لا إله إلا الله: "لا معبودَ بحقٍّ إلا الله" أي: أنَّ الله هو المعبود الحق، وأنَّ ما سواه من المعبودات باطل.

٢- وَأَنَّ اللهَ فَوقَ عَرشه المَجيد بذَاته، وَهُوَ في كُل مَكَان بعلمه، خَلَقَ الإِنْسَانَ وَيَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِ نَفْسُهُ، وَهُوَ أَقْرَبُ إِلَيْهِ منْ حَبْلِ الْوَرِيد، وَمَا تَسْقُطُ منْ وَرَقَة إِلَّا يَعْلَمُهَا، وَلَا حَبَّةٍ في ظُلُمَاتِ الْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا في كتَاب مُبين، عَلَى الْعَرْش اسْتَوَى، وَعَلَى الْمُلْك احْتَوَى. وَلَهُ الأَسْمَاءُ الْحُسْنَى وَالصِّفَاتُ الْعُلَى (رسالة ابن أبي زيد القيرواني ص١٨).

ودليل تعليم الأطفال منذ الصغر حديث ابْنِ عَبَّاس-رَضِيَ الله عنهما- قَالَ: كُنْتُ خَلْفَ رَسُولِ الله صَلَّى الله عَلَيْه وَسَلَّمَ يَوْمًا، فَقَالَ: «يَا غُلَامُ إِنِّي أُعَلِّمُكَ كلمَات، احْفَظِ اللهَ يَحْفَظْكَ، احْفَظِ اللهَ تَجِدْهُ تُجَاهَكَ، إِذَا سَأَلْتَ فَاسْأَلِ اللهَ، وَإِذَا اسْتَعَنْتَ فَاسْتَعِنْ بِاللهِ، وَاعْلَمْ أَنَّ الأُمَّةَ لَوْ اجْتَمَعَتْ عَلَى أَنْ يَنْفَعُوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَنْفَعُوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللهُ لَكَ، وَلَوْ اجْتَمَعُوا عَلَى أَنْ يَضُرُّوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَضُرُّوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللهُ عَلَيْكَ، رُفِعَتِ الأَقْلَامُ وَجَفَّتْ الصُّحُفُ» رواه أحمد والترمذي، واللفظ له، وقال حسن صحيح.

ودليل تعليم الأطفال الحرام والحلال ما ثبت في الصحيحين، واللفظ لمسلم، من حديث أبى هريرة رضى الله عنه قال: أَخَذَ الْحَسَنُ بْنُ عَلِيٍّ-رضي الله عنهما- تَمْرَةً منْ تَمْرِ الصَّدَقَة، فَجَعَلَهَا في فيه (أي:فمه)، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «كِخْ كِخْ، ارْمِ بِهَا، أَمَا عَلِمْتَ أَنَّا لَا نَأْكُلُ الصَّدَقَةَ؟»

فالصدقة لا تجوز لنبينا صلى الله عليه وآله وسلم وآل بيته. فلم يقل هذا طفل صغير بل قام بتعليمه.

٣- يجب على المربين والمدرسين تربية الأولاد على الإخلاص والجد والعزيمة والصبر وحسن الفهم والمذاكرة أملاً في الحصول على شهادة للعمل بها في خدمة المسلمين ونفعهم وإسعادًا للوالدين وحرصًا على تقدم وطنه وأمته الإسلامية، وبهذه النية يُؤجر الجميع بإذن الله، ولا تقتصر خدمة المسلمين على الوظيفة بل كلٌ يخدم في مجاله وحرفته، والحرفة أمان من الفقر؛ لأنها سبب في التكسب والرزق.

٤- يجب على المربين تعليم أولادهم الصلاة والأخلاق والآداب الإسلامية واجتناب الرذائل. قال الله تعالى: «يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارٗا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلۡحِجَارَةُ عَلَيۡهَا مَلَٰٓئِكَةٌ غِلَاظٞ شِدَادٞ لَّا يَعۡصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمۡ وَيَفۡعَلُونَ مَا يُؤۡمَرُونَ» (سورة التحريم، الآية ٦).

وقَالَ رَسُولُ اللَّه صَلَّى اللَّه عَلَيْه وَسَلَّمَ: "مُرُوا أَوْلادَكُمْ بالصَّلاة، وَهُمْ أَبْنَاءُ سَبْعِ سنينَ، وَاضْرِبُوهُمْ عَلَيْهَا وَهُمْ أَبْنَاءُ عَشْرٍ، وَفَرِّقُوا بَيْنَهُمْ فِي الْمَضَاجِعِ" رواه أبو داود. فكثير من الآباء يحرص على ذهاب أولاده للمدرسة مبكرًا لكن لا يهتم بأدائهم لصلاة الصبح قبل نزولهم من البيت وذهابهم للمدرسة فليس إدراك موعد المدرسة أهم من إدراك وقت الصلاة. فمن سجد لله وتضرع له يرجى له التوفيق والسداد في الدنيا والآخرة.

٥- المحافظة على أداء الصلاة في مواقيتها قال الله تعالى: «إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ كَانَتۡ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ كِتَٰبٗا مَّوۡقُوتٗا» (النساء: ١٠٣)، قال العلامة السعدي رحمه الله في تفسير هذه الآية: أي مفروضًا في وقته فدل ذلك على فرضيتها وأن لها وقتًا لا تصح إلا به، وهو هذه الأوقات التي قد تقررت عند المسلمين صغيرهم وكبيرهم عالمهم وجاهلهم، وأخذوا ذلك عن نبيهم محمد صلى الله عليه وآله وسلم بقوله (وَصَلُّوا كَمَا رَأَيْتُمُونِي أُصَلِّي) رواه البخاري. تفسير السعدي صـ ١٦٢، فبعض الطلبة والطالبات يسهرون لساعات متأخرة من الليل في المذاكرة ثم ينامون نومًا عميقًا دون تنظيم وحرص على أداء الصلاة في مواقيتها.

٦- يجب على المربين والمدرسين الاهتمام بزي البنات المدرسي وحجابهن الشرعي، فكثيرًا من البنات يلبسن البنطلون والملابس المعطرة والقصيرة والشفافة والضيقة وهذه الأمور محرمة، والحجاب فرض على البنت كما أنَّ الصلاة فرض عليها، وكذلك سائر الأركان، وقد قال تعالى: «يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّأَزۡوَٰجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَآءِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ يُدۡنِينَ عَلَيۡهِنَّ مِن جَلَٰبِيبِهِنَّۚ ذَٰلِكَ أَدۡنَىٰٓ أَن يُعۡرَفۡنَ فَلَا يُؤۡذَيۡنَۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورٗا رَّحِيمٗا» (الأحزاب الآية ٥٩).

قال العلامة السعدي: هذه الآية، التي تسمى آية الحجاب، فأمر الله نبيه صلى الله عليه وسلم، أنْ يأمر النساء عمومًا، ويبدأ بزوجاته وبناته، لأنهن آكد من غيرهن، ولأن الآمر لغيره ينبغي أن يبدأ بأهله، قبل غيرهم كما قال تعالى: «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا...» أنْ «يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِنْ جَلابِيبِهِنَّ» وهن اللاتي يكن فوق الثياب من ملحفة وخمار ورداء ونحوه، أي: يغطين بها، وجوههن وصدورهن. ثم ذكر حكمة ذلك، فقال: «ذَلِكَ أَدْنَى أَنْ يُعْرَفْنَ فَلا يُؤْذَيْنَ» دل على وجود أذية، إن لم يحتجبن، وذلك، لأنهن إذا لم يحتجبن، ربما ظن أنهن غير عفيفات، فيتعرض لهن من في قلبه مرض، فيؤذيهن، وربما استهين بهن، وظن أنهن إماء، فتهاون بهن من يريد الشر. فالاحتجاب حاسم لمطامع الطامعين فيهن. «وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا» حيث غفر لكم ما سلف، ورحمكم، بأن بين لكم الأحكام، وأوضح الحلال والحرام، فهذا سد للباب من جهتهن. (تفسير السعدي صـ ٦١٨).

ولجنة الفتوى بالأزهر الشريف قامت بالرد على القرار رقم ١١٣ الصادر من وزير التعليم في ١٩٩٤/٥/١٧م بشأن مواصفات

الزي المدرسي وقالت ما نصه: (الزي المفروض على طالبات المدارس معارض لأمر الله شكلاً وموضوعًا وتشريع مضادّ لما أمر الله عز وجل به) وللاستزادة راجع مجلة الأزهر صـ٢٧٥ عدد ربيع الأول ١٤١٥هـ-أغسطس/سبتمبر ١٩٩٤م.

وقال الدكتور نصر فريد واصل- المفتي الأسبق: (لبس المرأة للبنطلون الضيق المُفصّل لجسدها حرام شرعًا، وبالنسبة لعقوبة التبرج والسفور في الآخرة فهي عقوبة شديدة، والتبرج والسفور من الكبائر شرعا؛ لأنه يُؤدي إلى انتشار الفساد واشاعة الفاحشة في المجتمع) فتوى رقم ١٥٨/٤٢١- ٢٠٠١/١٠/١١م؛ فكيف بالبناطيل المقطعة التي يلبسها الشباب والبنات، وأين آباؤهم وأمهاتهم؟!

قال الشيخ ابن عثيمين (حتى وإنْ كان واسعا فضفاضًا؛ لأنّ تميز رجل عن رجل يكون به شيء من عدم الستر، ثم إنه يُخشى أنْ يكون ذلك أيضًا من تشبه النساء بالرجال؛ لأن (البنطال من ألبسة الرجال) مجلة الدعوة العدد ١٤٧٦، وفى معرض الكلام عن لبس الصغيرات للبناطيل والملابس الضيقة قال ابن عثيمين (إذا تعودت هذا اللباس وهي صغيرة نُزِعَ منها الحياء وصارت لا تبالي أن تتبين عورتها بالرؤية أو بالحجم؛ فتعتاد هذا اللباس وفي النهاية تبقى عليه ولو بلغت).

صفات الحجاب الشرعي

أقله الخمار الذي يظهر الوجه والكفين، والحجاب فريضة علي المرأة بالكتاب والسنة وإجماع الأمة.. وكيف فرّقت المرأة المسلمة بين فريضة الصيام وفريضة الحجاب؟

مواصفات الحجاب الشرعي والشروط الواجب توفرها مجتمعةً حتى يكون الحجاب شرعيًا:

الأول: أن يكون ساترًا لجميع بدن المرأة.

الثاني: ألا يكون الحجاب مبهرجًا زينة في نفسه. كلما مال إلي الألوان الداكنة الساترة كان أفضل وأسلم.

الثالث: ألا يكون رقيقًا يشفّ عما تحته.

الرابع: أن يكون فضفاضًا واسعًا ليس ضيقًا يجسّد مفاتن المرأة (أحيانًا المرأة تلبس ملابس طويلة جدًا ومع ذلك ضيقة جدًا، وهذا أيضًا من المخالفات لشروط الحجاب الشرعي).

الخامس: ألا يكون مبخرًا مطيبًا. عَنْ أَبِي مُوسَى الْأَشْعَرِيِّ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ (أَيُّمَا امْرَأَةٍ اسْتَعْطَرَتْ، فَمَرَّتْ بِقَوْمٍ لِيَجِدُوا رِيحَهَا فَهِيَ زَانِيَةٌ) أخرجه أحمد في مسنده (٣٢-٤٨٣).

السادس: ألا يشبه ملابس الكافرات. (ومعلوم أن بيوت الأزياء القائمين عليها يهود)

السابع: ألا يشبه ملابس الرجال.

الثامن: ألا تقصد به الشهرة بين الناس.

٧- يجب على المربين حسن اختيار المدرسة التي فيها حسن تربية وتعليم ومزايا طيبة وضوابط شرعية وإن كلف هذا الآباء دفع المال الكثير؛ فلا بد من التضحية بالمال في سبيل تحقيق الهدف والغاية المنشودة من التعليم.

٨- الصداقة مُهمة في حياة الإنسان؛ لذلك لا بد من حسن اختيار الطالب لصديقه والطالبة لصديقتها؛ لأن المقصود من الصداقة التذكير بالله تعالى والتعاون على الخير قال تعالى: «وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ» (المائدة: ٢). وقال تعالى في سورة الزخرف: «الْأَخِلَّاءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ» (الزخرف: ٦٧)؛ وصديق السوء وصديقة السوء شعارهم الفساد والإفساد والصداقة بين الشباب والفتيات حرام ولا تجوز.

٩- الاختلاط في التعليم حرام. فلا يجوز الاختلاط بين الطلبة والطالبات في الفصول المدرسية أو المجموعات المدرسية أو الجامعات أو الرحلات، ولا يجوز للمدرس أن يقوم بالتدريس للبنات سواء في فصل مدرسي أو درس خصوصي؛ لأنه ليس مَحرمًا لهن.

ومنعًا للفتنة ولا يجوز للمُدرِّسة أن تقوم بالتدريس للطلبة أيضًا.

قال تعالى: «وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعًا فَاسْأَلُوهُنَّ مِن وَرَاءِ حِجَابٍ ذَٰلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ وَمَا كَانَ لَكُمْ أَن تُؤْذُوا رَسُولَ اللَّهِ وَلَا أَن تَنكِحُوا أَزْوَاجَهُ مِن بَعْدِهِ أَبَدًا إِنَّ ذَٰلِكُمْ كَانَ عِندَ اللَّهِ عَظِيمًا» (الأحزاب: ٥٣)، وعَنْ أُسَامَةَ بْنِ زَيْدٍ رَضِيَ اللَّه عَنْهُمَا، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّه عَلَيْه وَسَلَّمَ قَالَ: «مَا تَرَكْتُ بَعْدِي فِتْنَةً أَضَرَّ عَلَى الرِّجَالِ مِنَ النِّسَاءِ» رواه البخاري ومسلم، واللفظ للبخاري.

وفي صحيح مسلم عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رضي الله عنه، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّه عَلَيْه وَسَلَّمَ، قَالَ: «إِنَّ الدُّنْيَا حُلْوَةٌ خَضِرَةٌ، وَإِنَّ اللَّهَ مُسْتَخْلِفُكُمْ فِيهَا، فَيَنْظُرُ كَيْفَ تَعْمَلُونَ، فَاتَّقُوا الدُّنْيَا وَاتَّقُوا النِّسَاءَ، فَإِنَّ أَوَّلَ فِتْنَةِ بَنِي إِسْرَائِيلَ كَانَتْ فِي النِّسَاءِ» وَفِي حَدِيثِ ابْنِ بَشَّارٍ: «لِيَنْظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ»

ولقد صدق رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فإنَّ الفتنة بهن عظيمة ولا سيما في هذا العصر الذي خلع فيه أكثرهن الحجاب وتبرجن فيه تبرج الجاهلية وكثرت بسببه الفواحش والمنكرات وعزوف الكثير من الشباب والفتيات عما شرع الله تعالى من الزواج في كثير من البلاد، وقد بيّن الله سبحانه أنّ الحجاب أطهر لقلوب الجميع؛ فدل ذلك على أنّ زواله أقرب إلى نجاسة قلوب الجميع وانحرافهم عن طريق الحق، ومعلوم أن جلوس الطالبة مع الطالب في كرسي الدراسة من أعظم أسباب الفتنة ومن أسباب ترك الحجاب الذي شرعه الله للمؤمنات ونهاهن عن أن يبدين زينتهن لغير مَن بيَّنهم الله سبحانه وتعالى في الآية رقم ٣١ من سورة النور، وكان النساء في عهد النبي صلى الله عليه وآله وسلم لا يختلطن بالرجال لا في المساجد ولا في الأسواق، الاختلاط الذي ينهى عنه المصلحون اليوم ويرشد القرآن والسنة وعلماء الأمة إلى التحذير منه حذرًا من الفتنة بل كان النساء في مسجده صلى الله عليه وآله وسلم يصلين خلف الرجال في صفوف متأخرة عن الرجال... (الرسائل والفتاوى النسائية للشيخ ابن باز صـ ٤٠:٥٤).

١٠- البعد عن سموم وسائل الإعلام مثل الفضائيات المسمومة التي تشيع الفاحشة بين المؤمنين عن طريق الأفلام والمسلسلات،.... والمواقع الإباحية والإجرامية على الشبكة العنكبوتية (الإنترنت)، وهذا فيه ضياع للوقت والعمر، وفيه فساد الدين والخُلق والسلوك ويسبب بلادة الذهن ويؤدي إلى الفشل ويبعد عن التفوق والنجاح في الدنيا والآخرة.

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّه عَلَيْه وَسَلَّمَ: "الْمُؤْمِنُ الْقَوِيُّ خَيْرٌ وَأَحَبُّ إِلَى اللَّهِ مِنَ الْمُؤْمِنِ الضَّعِيفِ، وَفِي كُلٍّ خَيْرٌ، احْرِصْ عَلَى مَا يَنْفَعُكَ، وَاسْتَعِنْ بِاللَّهِ وَلَا تَعْجَزْ، فَإِنْ أَصَابَكَ شَيْءٌ، فَلَا تَقُلْ: لَوْ أَنِّي فَعَلْتُ كَذَا وَكَذَا، وَلَكِنْ قُلْ: قَدَرُ اللَّهِ، وَمَا شَاءَ فَعَلَ، فَإِنَّ لَوْ تَفْتَحُ عَمَلَ الشَّيْطَانِ "أخرجه مسلم.

١١- يجب توافر القدوة الصالحة من المدرسين والمدرسات والمربين والمربيات؛ لأن الطفل مقلد لما يراه خيرًا أو شرًا، وقد يحصل التناقض إذا رأى الطالب المدرس يدخن السجائر ووالده لا يدخن (التدخين حرام شرعًا، فتوى دار الإفتاءالمصرية ١٤-١١-٢٠٠٠م، والتي نشرتها منظمة الصحة العالمية)، أو أنّ الطالبة ترى مُدرِّستها متبرجة ووالدتها مرتدية للحجاب الشرعي، ففي هذه الحالة لا تكون المدارس عونًا للبيوت في التربية فكيف إذا كان المربون والمدرسون لا يؤدون الصلاة، وكما قال أحد السلف (لا تأتمن عاصيًا فقد خان أول مُنعم عليه)، والله المستعان.

صلى الله عليه وآله وسلم.

لا اختلاف في القرآن الكريم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين وعلى آله وصحبه أجمعين أما بعد، فقد نفى الله عز وجل وجود اختلاف في القرآن الكريم وذلك في قوله تعالى:(ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا) وللعلماء ثلاثة أوجه مشهورة في بيان هذا الاختلاف المنفي وهي:

إعداد أ. د محمد حامد
الأستاذ المساعد بقسم التفسير
وعلوم القرآن بالأزهر

١- التناقض والاضطراب والتعارض الحقيقي بين آياته.

٢- التفاوت في أسلوبه ونظمه بأن يكون بعضه فصيحاً وبعضه ركيكاً، وبعضه يصعب معارضته وبعضه يسهل ونحو ذلك مما هو منفي عن القرآن الكريم.

٣- الكذب كأن يكون في بعض أخباره ما يُكَذِّب الآخر، أو أن يكون في أخباره ما هو غير مطابق للواقع فيما أخبر به.

والقرآن الكريم سالم من هذا كله فلا تناقض ولا اضطراب ولا تفاوت، ولا كذب ولله الحمد والمنة.

وإذا كنا قد بينا في المقالة السابقة كيف أن القرآن سالم من التناقض والتعارض الحقيقي بين آياته فإننا في هذه المقالة ندلف إلى الوجهين الآخرين لنقف على بعض المعالم المتعلقة بهما.

أولا: لا يوجد تفاوت في القرآن الكريم في الأسلوب والنظم بحيث يكون بعضه فصيحاً وبعضه ركيكاً، وبعضه يصعب معارضته وبعضه يسهل.

ومن دلائل ذلك: أن الله عز وجل لمّا تحدى الناس وبيّن عجزهم عن الإتيان بمثل سورة من القرآن أطلق السورة ولم يقيدها بنوع معين من الأساليب، أو طريقة خاصة من النظم، فيدخل فيها السورة القصيرة والطويلة والمكية والمدنية وغير ذلك مما ينطبق عليه اسم السورة.

قال تعالى:" وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُم مِّن دُونِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ" (البقرة: ٢٣)، وقال تعالى:" أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّثْلِهِ وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ" (يونس:٣٨).

ووجه الإعجاز على هذا المعنى أنه" من المعلوم أن الإنسان وإن كان في غاية البلاغة ونهاية الفصاحة، فإذا كتب كتابا طويلا مشتملا على المعاني الكبيرة، فلا بد وأن يظهر التفاوت في كلامه بحيث يكون بعضه قويا متينا وبعضه سخيفا نازلا، ولما لم يكن القرآن كذلك علمنا أنه المعجز من عند الله تعالى" (مفاتيح الغيب لفخر الدين الرازي (١٠/١٥٢)).

وإذا كان الوجه الأول وهو عدم التناقض الحقيقي بين آيات القرآن الكريم، وسلامته من الاضطراب ربما خفي على بعض الناس فأشكلت عليه بعض آيات القرآن، وتوهم معارضتها ولا يلزم من ذلك صحة دعواه في حقيقة الأمر؛ فكذلك الأمر في

هذا الوجه؛ إذ كثير من الناس اليوم ربما لا يتفطنون إلى تفوق القرآن الكريم على كل كلام، وأنه المنتهى في البلاغة والإعجاز وذلك راجع إلى ضعف قدراتهم اللغوية، وغياب التذوق للكلام العالي، والأسلوب الراقي.

ويكفينا أن يشهد القاصي والداني والموافق والمخالف والقديم والحديث من المنصفين أهل الاختصاص ببراعة هذا القرآن في أسلوبه ونظمه وأنه فات كل كلام، وسبق كل بيانٍ في كل سورة من سوره، وموضوع من موضوعاته فتقام بذلك الحجة وتظهر المحجة كما أقيمت بسحرة فرعون حين أقروا بصدق آية موسى عليه السلام وأعلنوا الإيمان برب العالمين على غيرهم من الحاضرين ممن لا يبلغ مبلغ علمهم، ولا يستطيع التمييز بين السحر والآية المعجزة.

والحق أن أحدا من هؤلاء المنصفين لو تصورِ أنه لم يكن سمع سورة من القرآن من قبل ثم تليت عليه، وتلي معها ما أمكن من نثر وشعر لأفصح الشعراء وأعظم البلغاء لكان من اليسر بمكان أن يميز القرآن عن غيره؛ لانفراده بأسلوبه ونظمه، وعلو شأنه، وارتفاع شأوه عن المقاربة فضلا عن المماثلة والمشابهة.

قال أبو بكر الباقلاني: " نظم القرآن على تصرف وجوهه واختلاف مذاهبه خارج عن المعهود من جميع كلامهم، ومباين للمألوف من ترتيب خطابهم، وله أسلوب يختص به، ويتميز في تصرفه عن أساليب الكلام المعتاد "(إعجاز القرآن للباقلاني ص٣٥).

ومن نفيس كلام الشيخ محمد دراز عن القرآن الكريم: " هذا الكتاب الكريم يأبى بطبيعته أن يكون من صنع البشر، وينادي بلسان حاله أنه رسالة القضاء والقدر، حتى إنه لو وجد ملقًى في صحراء لأيقن الناظر فيه أن ليس من هذه الأرض منبعه ومنبته، وإنما كان من أفق السماء مطلعه ومهبطه" (النبأ العظيم ص١٠٦).

وصفوة القول: أن أسلوب القرآن يتميز عن غيره بأنه ملتقى نهايات الفضيلة البيانية على تباعد ما بين أطرافها فيجمع بين القصد في اللفظ والوفاء بحق المعنى مع أن كل من حاول أن يجمع بينهما وقف منهما موقف الزوج بين ضرتين لا يكاد يستطيع أن يعدل بينهما دون ميل ما إلى إحداهما، ويجمع أسلوبه أيضا بين خطاب العامة وخطاب الخاصة، وبين إقناع العقل وإمتاع العاطفة، وبين الإجمال والبيان (ينظر لتفصيل القول في هذه الفضائل البيانية النبأ العظيم ص١٤٣-١٥٢).

ولا يخفى أن كل واحدة من هذه تأبى على المتكلم أن يأتي بمقابلها لكنه القرآن الكريم الفريد في أسلوبه المعجز في نظمه، وكما أن الله لا مثيل له فكلامه لا مثيل له من كلام الخلق.

وحاصل الأمر في بيان هذا الوجه أننا نرى العالم النابغ في علم معين من علماء هذا العصر يؤلف الكتاب فيه، ويستعين عليه بمعارف أقرانه من العلماء الباحثين، ثم يطيل التأمل فيه وينقحه ويطبعه فلا تمر سنوات قليلة إلا ويظهر له الخطأ والاختلاف فيه، فلا يعيد طبعه إلا بعد أن يغير منه ويصحح ما شاء، فما بالك بما يظهر للإنسان من الاختلاف والتفاوت في الكتب التي يؤلفها غيره من أول وهلة لا بعد مرور السنين، واتساع دائرة العلوم، وقد ظهر هذا القرآن في أمة أمية لا مدارس فيها ولا كتب على لسان أمي لم يتعلم قراءة ولا كتابة، فكيف يمر عليه أكثر من أربعة عشر قرنا يتغير فيها العمران البشري كما قلنا، ولا يظهر فيه اختلاف ولا تفاوت حقيقي يعتد به، ويصلح أن يكون مطعنا فيه! أليس هذا برهانا ناصعا على كونه من عند الله أوحاه إلى عبده ورسوله محمد- صلى الله عليه وسلم-؟ (ينظر: تفسير المنار(٥/٢٣٥)).

ثانيا: مما هو جدير بالذكر أن تعلم - أيها القارئ الكريم- أن هذا البيان العالي الذي تميز به القرآن الكريم ليس في سوره وموضوعاته فحسب، وإنما في كل كلمة من كلماته حيث وردت منتقاة من بين نظائرها لتكون في موضعها من القرآن الكريم.

قال ابن عطية الأندلسي: " كتاب الله لو

نزعت منه لفظة ثم أُدير لسان العرب في أن يوجد أحسن منها لم يوجد" (المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز لابن عطية الأندلسي(١/٥٢)).

ثالثا: من الاختلاف المنفي عن القرآن الكريم الكذب؛ وذلك أن القرآن الكريم صادق في جميع ما أخبر به من الأخبار الماضية والحاضرة والمستقبلية فلا اختلاف فيه أي: ليس فيه ما وافق المخبر عنه تارة، وما خالفه تارة أخرى.

ويدخل في ذلك الأخبار الغيبية التي أخبر عنها القرآن فوقعت كما أخبر، ومن ذلك أيضا ما أخبر به عما في ضمائرهم، وما أسروه في أنفسهم. كما يدل عليه سياق الآيات الكريمة:(وَيَقُولُونَ طَاعَةٌ فَإِذَا بَرَزُوا مِنْ عِنْدِكَ بَيَّتَ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ غَيْرَ الَّذِي تَقُولُ وَاللَّهُ يَكْتُبُ مَا يُبَيِّتُونَ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا ﴿٨١﴾ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا) (سورة النساء٨١-٨٢.)

أي: لولا أنه من عند الله تعالى لكان ما فيه من الإخبار بالغيب، مما يسره المنافقون وما يبيّتونه، مختلفا: بعضه حق وبعضه باطل؛ لأن الغيب لا يعلمه إلا الله تعالى(ينظر: معاني القرآن وإعرابه للزجاج(٢/٨٢)).

وقال ابن عاشور: " أي لوجدوا فيه اختلافا بين ما يذكره من أحوالهم وبين الواقع؛ فليكتفوا بذلك في العلم بأنه من عند الله، إذ كان يصف ما في قلوبهم وصف المطّلع على الغيوب، وهذا استدلال وجيز وعجيب قصد منه قطع معذرتهم في استمرار كفرهم" (التحرير والتنوير(٥/١٣٨)).

وقد ذكر القرآن الكريم كثيرا من مواقف المنافقين وأسرارهم التي أخفوها عن الرسول والمؤمنين لكن الله أطلعهم عليها.

وما تكرُّر قوله: " ومنهم " في سورة التوبة إلا خير شاهد على ذلك.

قال ابن عباس رضي الله عنهما: «التوبة هي الفاضحة، ما زالت تنزل، ومنهم ومنهم، حتى ظنوا أنها لن تبقي أحدا منهم إلا ذُكر فيها»(أخرجه البخاري في صحيحه- كتاب تفسير القرآن رقم٤٨٨٢).

والقرآن صادق لأن المتكلم به لا أصدق منه ولا أعلم منه وصدق الله إذ قال:(وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ قِيلًا) (سورة النساء: ١٢٢).

وقال عز وجل:(وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ) (سورة الأنعام: ١١٥).

وقد ذكر العلماء أن الإخبار بالغيبيات أحد ألوان الإعجاز في القرآن الكريم حيث أخبر عن أشياء فوقعت كما أخبر، ولم يحدث أي اختلاف بين ما أخبر به، والواقع ولله الحمد.

رابعا: قد يشكل على بعض الناس فهم بعض الآيات القرآنية التي يُظن أنها أخبرت بأشياء خالفها الواقع، ولم يأت مطابقا لها.

وسبب ذلك عدم التفريق بين الأخبار المحضة، وبين ما جاء في صورة الخبر ولكن حقيقته الإنشاء والطلب.

ومن الأمثلة على ذلك قوله تعالى:(فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ مَقَامُ إِبْرَاهِيمَ وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا) (سورة آل عمران: ٩٧) حيث يشكل على هذه الآية ما وقع من ترويع بعض الآمنين في الحرم، واعتداء على المسجد الحرام في وقت من الأوقات، وزمن من الأزمنة والجواب عن ذلك أن يُعلم أن قوله تعالى: (وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا) خبر بمعنى الإنشاء والطلب أي: أَمِّنُوا أيها المؤمنون من دخل المسجد الحرام فهو أمر لهم وقد يقع منهم التقصير في تنفيذه أو العجز عنه.

وهكذا الأمر في كل ما ظُنَّ من آيات القرآن الكريم أنه مخالف للواقع غير مطابق له.

خامسا: هناك أمور لا تدخل في الاختلاف المنفي عن القرآن الكريم ومن ذلك:

١- الاختلاف الواقع بين القراءات

هذا الاختلاف الواقع بين القراءات المتواترة هو من قبيل اختلاف التنوع فلا تناقض بين القراءات ولا اضطراب.

قال القرطبي: "ولا يدخل في هذا-أي: الاختلاف المنفي- اختلاف ألفاظ القراءات"(الجامع لأحكام القرآن للقرطبي(٥/٢٩٠)).

وبيان ذلك أن تنوع القراءات من إيجاز القرآن الكريم وإعجازه حيث تَردُ في الكلمة الواحدة أكثر من قراءة وكل منها يدل على معنى يتكامل مع المعنى الآخر أو يؤكده فتتكاثر المعاني وتتعدد الأوجه في الكلمة الواحدة.

ومن الأمثلة على ذلك قوله تعالى:(فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ) سورة البقرة: ١٠ فكلمة" يكذبون" فيها قراءتان الأولى" يَكْذِبون" من الكذب، والأخرى" يُكَذِّبون" من التكذيب فأفادت القراءتان أن المنافقين متصفون بالكذب والتكذيب معا.

٢- الاختلاف الواقع بين المفسرين لا يؤثر على سلامة القرآن من الاختلاف لأن الاختلاف المنفي عن القرآن يعود إلى ذات القرآن لا إلى اختلاف الناظرين والمجتهدين فيه.

سئل الغزالي عن معنى قوله تعالى: «أفلا يتدبرون القرآن ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا»

فأجاب: الاختلاف لفظ مشترك بين معان وليس المراد نفي اختلاف الناس فيه بل نفي الاختلاف عن ذات القرآن(البرهان في علوم القرآن للزركشي(٤٦/٢)، والإتقان في علوم القرآن للسيوطي(٢٣/٤)).

٣- الاختلاف في مقادير السور، وتنوع الأحكام.

لا يدخل في الاختلاف المنفي عن القرآن الكريم الاختلاف في مقادير السور فهناك سور طويلة وأخرى قصيرة وهذا لا إشكال فيه.

وكذلك الأمر في تنوع الأحكام والأخبار ففي القرآن بيان الحلال والحرام والواجب والمحظور والوعد والوعد ولا إشكال.

والناسخ والمنسوخ أيضا لا إشكال فيهما؛ لأن الزمان فيهما مختلف. والمصير إلى أحدهما وهو الناسخ مع العلم بأنه لا يصار إلى النسخ إلا بعد معرفة التاريخ وتعذر الجمع، والتناقض إنما يكون في حالة إطلاق الزمان وبقاء العمل بالأحكام مع اختلافها وهذا هو المنفي عن القرآن.

قال الكرماني عند قوله تعالى: «ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا»: "الاختلاف على وجهين اختلاف تناقض وهو ما يدعو فيه أحد الشيئين إلى خلاف الآخر، كما زعم بعض الملحدة في بعض من الآيات، واختلاف تلازم وهو ما يوافق الجانبين كاختلاف مقادير السور والآيات واختلاف الأحكام من الناسخ والمنسوخ والأمر والنهي والوعد والوعيد(غرائب التفسير وعجائب التأويل للكرماني(٣٠١/١).

سادسا: التقييد بالكثير في قوله تعالى: (وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا) (سورة النساء:٨٢) ليس قيدا للاحتراز؛ فلا يفهم منه أن في القرآن اختلافا قليلا، وإنما المراد نفي الاختلاف عن القرآن الكريم كثيره وقليله، ولكن هذا الوصف بالكثرة جاء ليدل على أن هذا القرآن الكريم لو كان من عند غير الله لوُجد فيه الاختلاف الكثير؛ لكثرة ما فيه من موضوعات، وتنوع ما فيه من أخبار وأحكام، حيث إنه جامع لفنون من علوم شتى، ولكن القرآن لأنه منزل من لدن حكيم عليم؛ فلا اختلاف فيه أصلا ولله الحمد والمنة.

وقد أحسن من قال:" إن التقييد بوصف الكثرة للمبالغة في إثبات الملازمة فكأنه قال: لو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا فضلا عن القليل، وليس فيه اختلاف كثير ولا قليل فكيف يكون من عند غير الله فهذا هو المقصود من التقييد بوصف الكثرة لا أن القرآن اشتمل على اختلاف قليل"(أنموذج جليل في أسئلة وأجوبة من غرائب التنزيل لمحمد بن أبي بكر الرازي صـ٧٦).

وبهذا أكون قد سلطت الضوء على أوجه الاختلاف المنفي عن القرآن الكريم، وبيان ما يدخل في ذلك وما يخرج، ونخلص إلى أنه ليس في القرآن الكريم تناقض ولا اضطراب ولا تفاوت، وأنه غاية في الفصاحة والبلاغة، كما أنه لا كذب فيه بوجه من الوجوه؛ لأنه منزل من عند الله رب العالمين، وهذا في القرآن جميعه من فاتحته إلى خاتمته.

وصدق ربي إذ قال: (لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ) (سورة: فصلت:٤٢).

والله ولي التوفيق

الإسلام بين حركة التاريخ ومواجهة الانحطاط المعاصر

إعداد أ.د. عبد الوارث عثمان
أستاذ الفقه المقارن بجامعة الأزهر

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وبعد؛

فلو كان الإسلام يرفض الماضي كله رفضًا قاطعًا إذن لرفض الكتب السماوية السابقة، ولنأى عن مسيرة الأنبياء والرسل السابقين، ومعاذ الحق، وحاشا للإسلام، ويكفي في هذا السياق أن يشبه الرسول الكريم -صلى الله عليه وسلم- مَن سبقوه من الرسل باللبنات التي يقوم عليها البناء إلا لبنة واحدة؛ فعن أبي هريرة، أن النبي -صلى الله عليه وسلم- قال: "مثلي ومثل الأنبياء من قبلي كمثل رجل بنى بنيانا فأحسنه وأجمله، إلا موضع لبنة من زاوية من زواياه، فجعل الناس يطوفون به، ويتعجبون له، ويقولون: هلا وضعت هذه اللبنة؟ قال: فأنا تلك اللبنة وأنا خاتم النبيين".

مشيرًا إلى الاتساق والاتفاق بينه وبين إخوانه المرسلين صلوات الله عليهم أجمعون، ومشيرًا كذلك إلى أن دين الله الواحد هو دين واحد، وأن تعدد حملة رسالته إلى البشر بتعدد الزمان والمكان.

وإن التواصل "المستنير" بين الأجيال الذي دعا إليه الإسلام كتابًا وسُنة هو ما يحتاج إليه المسلمون أشد الحاجة اليوم ولا سيما في زحام التغيرات "المادية" التي تطرأ على المجتمعات كل يوم بل في كل ساعة، مما كان له آثاره "المعنوية" التي نخشى أن تجنح بالأجيال إلى شاطئ غير أمين وبر غير مأمون.

ولذلك نجد علماء الإسلام قد تعددت مذاهبهم الفقهية واختلفت تفاسيرهم للقرآن الكريم وفقًا للقواعد والمبادئ التي يحيط بها المتخصصون ويتقنها "أهل الذكر"، ولما كان هناك مبرر لمبدأ الاجتهاد والقياس وغيرهما من أسس معالم الشريعة السمحاء.

فالإسلام لا يتمثل في دعوة رسولنا محمد فحسب، بل الإسلام هو الدين الذي ارتضاه الله للبشرية عمومًا منذ آدم وإلى أن تقوم الساعة.

وما رسالة النبي الكريم محمد -صلى الله عليه وسلم- إلا آخر حلقة من السلسلة الإلهية التي طلب من العباد أن يدينوا لها بالطاعة والولاء، وهذه الحلقة الأخيرة شملت جميع الحلقات السابقة عليها وأكدتها وهيمنت عليها تاريخيًا وجغرافيًا.

(شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِىٓ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ وَمَا وَصَّيۡنَا بِهِۦٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓۖ أَنۡ أَقِيمُواْ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُواْ فِيهِۚ كَبُرَ عَلَى ٱلۡمُشۡرِكِينَ مَا تَدۡعُوهُمۡ إِلَيۡهِۚ ٱللَّهُ يَجۡتَبِىٓ إِلَيۡهِ مَن يَشَآءُ وَيَهۡدِىٓ إِلَيۡهِ مَن يُنِيبُ) الشورى ١٣.

فبخلق آدم بدأ التاريخ في حلقات متتابعة، وبدأت بالتالي الحركية التاريخية.

وتحدد هذا التاريخ بعنصري أساسي هما الإنسان وسعيه في الأرض لعمارتها، العنصر الثاني هو المنهج الذي على أساسه يتحرك المجتمع الإنساني إلى الأمام.

ولا يمكن أن يغيب عنصر من هذين العنصرين عن

صاحبه إذا أريد لحركة التاريخ أن تسير سيرها الصحيح وخاصة العنصر المنهجي الذي هو التوجيه الإلهي لحركة الإنسان على ظهر هذه الأرض.

وكانت أول إشارة لهذين العنصرين موجهة إلى آدم أبي البشر وحواء قال تعالى: (قَالَ اهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدًى فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ ۝١٢٣ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَىٰ ۝١٢٤ قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَىٰ وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا ۝١٢٥ قَالَ كَذَٰلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيتَهَا وَكَذَٰلِكَ الْيَوْمَ تُنسَىٰ) (طه ١٢٣__١٢٦).

بداية التاريخ إذن أمر إلهي له جانبان: الإنسان والخالق، الإنسان بسعيه وكده واجتهاده، والخالق بمنهجه الذي يجب على الإنسان اتباعه. فباتباعه ينتفي عن الإنسان الضلال، والشقاء، وباجتنابه يعيش في دنياه في ضنك، وفي أخراه في عمى.

غير أن الإنسان بعد آدم ما لبث أن ترك المنهج لعوامل وأسباب؛ منها: النسيان وتقليد الآباء والأجداد فانبثقت حلقة جديدة من حلقات التاريخ متمثلة في رسالة نوح-عليه السلام- فأمن من آمن وغرق من غرق وهكذا يندفع التاريخ في خطاه ما بين نجاح وإخفاق وذلك بسبب قرب الإنسان من الخالق أو بعده عنه.

وفي كلتا الحالتين يكون فعل الخالق حاضرًا ماثلاً متدخلاً في حركة التاريخ بالإيجاب أو بالسلب، وهذا التدخل له طريقان؛ أولهما طريق غير مباشر، وثانيهما التاريخ المباشر.

وكلا الطريقين مرصودان من خلال القرآن الكريم خاتم رسالة الإسلام. وهذه الحقيقة التي جاءت في القرآن الكريم واضحة جلية توضح لنا علاقة الإسلام بالتاريخ. ويبين لنا مدى فاعلية هذا الدين في تحريك الأحداث التاريخية العالمية، قال تعالى: (إِن يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ قَرْحٌ مِّثْلُهُ وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَتَّخِذَ مِنكُمْ شُهَدَاءَ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ) (آل عمران: ١٤٠).

ومن الآيات الدالة على الفعل غير المباشر وهو تدخل مستمر لا ينقطع في قوله تعالى: (وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُّطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِّن كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللَّهِ فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ) (النحل: ١١٢).

وقوله: (وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ الْقُرَىٰ بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا مُصْلِحُونَ) (هود: ١١٧).

وقوله تعالى: (وَإِن مِّن قَرْيَةٍ إِلَّا نَحْنُ مُهْلِكُوهَا قَبْلَ يَوْمِ الْقِيَامَةِ أَوْ مُعَذِّبُوهَا عَذَابًا شَدِيدًا كَانَ ذَٰلِكَ فِي الْكِتَابِ مَسْطُورًا) (الإسراء: ٥٨).

وقوله تعالى: (وَإِذَا أَرَدْنَا أَن نُّهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ فَدَمَّرْنَاهَا تَدْمِيرًا) (الإسراء: ١٦).

وقد اختار-سبحانه وتعالى- المترفين؛ لأنهم الذين نعموا بالغنى مع البطر، فهم لم يشكروا الله على نعمه، فكانوا هم الأقرب إلى الفسوق الذي يؤدي إلى التدمير.

ومن الملاحظ أن الفعل الإلهي غير المباشر يشمل ما قبل بعثة محمد-صلى الله عليه وسلم- وما بعدها؛ لأن فعل الله في التاريخ دائم مستمر لا ينقطع.

أما التدخل المباشر فإنه كان قبل بعثة محمد-صلى الله عليه وسلم- وذلك بتحقيق نصرة أوليائه والبطش بأعدائه. وكذلك يقول: (حَتَّىٰ إِذَا اسْتَيْأَسَ الرُّسُلُ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ قَدْ كُذِبُوا جَاءَهُمْ نَصْرُنَا فَنُجِّيَ مَن نَّشَاءُ وَلَا يُرَدُّ بَأْسُنَا عَنِ الْقَوْمِ الْمُجْرِمِينَ) يوسف: ١١٠.

وكذلك فإن لله أيامًا يسفر فيها التدخل المباشر عن نفسه، أما بهلاك الأعداء أو بنصرة الأولياء، وقد ذكرت عبارة "أيام الله" في القرآن مرتين.

أولهما: تشير إلى التدخل المباشر في سير أحداث التاريخ بالبطش بأعداء الله وبمن رفض منهج الله.

والثانية: تشير إلى تدخل الله بنصر أوليائه ومن تبع هداه.

الأولى جاءت في سورة إبراهيم قال تعالى: (وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِآيَاتِنَا أَنْ أَخْرِجْ قَوْمَكَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَذَكِّرْهُم بِأَيَّامِ اللَّهِ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ) إبراهيم: ٥.

والثانية في سورة الجاثية قال تعالى: (قُل لِّلَّذِينَ آمَنُوا يَغْفِرُوا لِلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ أَيَّامَ اللَّهِ لِيَجْزِيَ قَوْمًا بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ) (الجاثية:١٤) فإذا كانت

الآية الأولى ترصد أيام الله في الماضي فإن الآية الثانية ترصدها في المستقبل.

وبذلك يكون التاريخ كله قد أصبح مسيطرًا عليه ماضيه ومستقبله؛ أما الحاضر فهو عبارة عن فطرة اعتبارية غير ثابتة.

كما أن الحاضر دائمًا في سيلان لا يثبت، فما يعتبر حاضـرًا لا يلبث في لحظة أن يصبح ماضيًا. قد يقول قائلاً: "إن في هـذا العرض ما يوحي بأن الله هو المسيِّر للتاريخ في غيبة الإنسان، وبذلك تلوح الجبرية من بين السطور. ويكون القدر سيفًا مسلطا على رقاب العباد لا بد لهم من الخضوع له دون تدخل منهم".

والجواب هنا على هذا الاعتراض المفترض سهل ويسير؛ فالله-سبحانه وتعالى- له قوانينه الكونية التي لا شك فيها، ولكن الإنسان قد منحه الله-سبحانه وتعالى- حرية الإرادة والاختيار دون أن يعلم ماذا يراد به، وقد وضع الله أمامه طريقي طريق الخير وطريق الشر. وأعطاه من الأدوات التي بها يستطيع أن يسلك إحدى الطرق فيترتب على سلوكه إحدى الطرق ما يترتب على ذلك من نتائج وفي كل الأحوال ليس عند الإنسان علم بما أريده الله.

والإنسان بهذه المثابة من الوجهة الفطرية حر في اختيار إحـدى الطرق دون سبق علمه بما قدره الله وقضاه.

ولذلك رفض الله-سبحانه وتعالى- احتجاج المشركين بالقدر إذ قال سبحانه وتعالى: (وَقَالَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا عَبَدْنَا مِن دُونِهِ مِن شَيْءٍ نَّحْنُ وَلَا آبَاؤُنَا وَلَا حَرَّمْنَا مِن دُونِهِ مِن شَيْءٍ كَذَٰلِكَ فَعَلَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَهَلْ عَلَى الرُّسُلِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ) (النحل ٣٥).

وقد أكد سبحانه وتعالى رفضه لهذا الاحتجاج بالدليل القاطع إذا قال: (سَيَقُولُ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكْنَا وَلَا آبَاؤُنَا وَلَا حَرَّمْنَا مِن شَيْءٍ كَذَٰلِكَ كَذَّبَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ حَتَّىٰ ذَاقُوا بَأْسَنَا قُلْ هَلْ عِندَكُم مِّنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنَا إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ أَنتُمْ إِلَّا تَخْرُصُونَ) (الأنعام: ١٤٨). أي فمن الذي أعلمكم قبل أن تدخلوا في الشرك بأن الله قد أراد بكم هذا الشرك. إذن فأنتم المسئولون عما بدر منكم من الشرك.

وهكذا كل المنحرفين الذين يعلقون انحطاطهم الأخلاقي وانحرافهم السلوكي على القدر مع أنهم قبل إقدامهم على الانحراف لم يطلعوا على إرادة الله، ولم يعلموا ما إذا كان قد أراد بهم الخير أو الشر وإلا فعليهم أن يرموا بأنفسهم أمام قطار، ثم يقولون: إن كان الله قد أراد لنا الحياة فسننجو أو أراد لنا الموت فسنموت. ولا يُقدم على ذلك أي عاقل.

فعلاقة الإسلام بالتاريخ علاقة فعليه أوجدها الإسلام لتحريك عجلة التاريخ أي في جعل الإنسـان الـذي التـزم بمنهج الله يدفع هذه العجلة، ويقف وراء الأحـداث المتتابعة كي يحقق الإنسان غايته المنشودة.

وأصبح من الواضح لدينا وحـدة الرسالات السماوية منذ آدم إلى محمد عليهم الصلاة والسلام. وموضوعها وهدفها واحد وهو إقامة "التوحيد"، وبذلك جاءت رسالة موسى وعيسى وما بينهما من أنبيـاء بني إسـرائيل. وكان المتوقع أن يسير أتباع موسى-عليه السلام- على نفس المنهج، ولكن الحسد والعنصرية الكامنة في هؤلاء الاتباع دفعتهم إلى أن يضنوا على البشرية بهذا المنهج الرباني فاحتطبوه لأنفسهم وأغلـقوا البـاب دون غيرهـم، ولم يعملوا على توصيل الشريعة التي أنزلها الله على موسى إلى سائر الخلق، وبذلك أصبحت ديانتهم ديانة مغلقة عليهم، واعتبروا أنفسهم شعب الله المختار، أما من عداهم من سائر الأمم فليس مستحقين لخير هذه الشريعة.

وبـذلـك أخـرج مـن زعـمـوا أنهـم أتـبـاع موسى أنفسهم من التاريخ، ولم يشتركوا في صنعه لانحرافهم عن منهج الله الذي حذرهم سبحانه من الانحراف عنه منذ آدم-عليه السلام-.

وجاء المسيح عيسى ابن مريم لكي يُعيد بني إسرائيل إلى الجادة وسماهم الخراف الضالة الذين يحاول إصلاحهم. غير أن الذين زعموا اتبـاع المسيح-عليه الـسـلام- تـركـوا دعوته ورسالته وأسندوها كلها إلى غيرهم من الأباطرة والملوك وجاء في دعوتها "دع ما لقيصر لقيصر وما لله لله"؛ فخرجوا أيضًا من التاريخ وتركوا لغيرهم هذه المهمة.

ولما جاء محمد-صلى الله عليه وسلم- بدعوته التي كانت بمثابة المشاركة الفعالة في مجريات التـاريـخ، وكـانت نتيجة ذلك قيام الحضارة الإسلامية.

وينبغي أن نشير هنا إلى حقيقة مهمة لا ينبغي إغفالها وهي أن رسالة محمد -صلى الله عليه وسلم- التزمت بالعنوان الرئيس لمختلف الرسالات السماوية السابقة وهو الإسلام، كما أن هذه الرسالة أنشأت دولة. وهذه الدولة لم تكن دولة دينية ولا دولة لها دين، ولكن هذه الرسالة قدمت الإسلام على أنه دين وهو في نفس الوقت دولة.

فالدين والدولة وجهان لعملة واحدة.

فإذا نظرت من خلال الدين تجد نفسك أمام الدولة، واذا نظرت إلى الدولة تجد نفسك أمام الدين.

وبهذا أخذ التاريخ طريقه إلى الكمال وقام بتنفيذه الإنسان الملتزم بمنهج الله. وكان الحق واضحا في قوله تعالى: (أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا) (المائدة: ٣).

وبقوة العلاقة المؤثرة المتداخلة المتسقة بين الإسلام وحركة التاريخ نستطيع أن نواجه حالة المجون العقلي القائم على تبنى أفكار الإلحاد واحياء الوثنيات القديمة والباسها ثوب العصرية

وكذلك مرحلة السقوط الإنساني الذي يهدّد حياة البشرية والمتمثل في مكونات الواقع الأوروبي اليوم والمؤسس على إباحة المثلية الجنسية والشذوذ وزنا المحارم والتحول الجنسي، وقد بلغ تبني هذه الضلالات والأباطيل والدعوة إليها والدفاع عنها بل وحمل الناس عليها والزامهم بفعلها واتيانها إلى استخدام أحط الطرق والوسائل، وأبشع المناهج الشيطانية وأشدها فحشا في زماننا المعاصر.

وقد فتحت ثقافة الجد والتجديد في حركة التاريخ بالمفهوم السابق المختومة ببعثة النبي محمد صلى الله عليه وسلم، مغاليق العقول فتفتقت عن علوم ومعارف لم يكن لعالم الظلمات آنذاك عهد بها، والا فكيف دحض الحسن بن الهيثم رائد علم الضوء فكرة أرسطو أن العين ترى الجسم بسقوط أشعتها عليه؟!

فقال ابن الهيثم بخطأ ذلك: لأن هذا معناه أن العين يمكن أن تبصر في الظلام، ثم أبدع فكرته عن الأبصار بأن العين ترى بسقوط الإشاعة من الجسم عليها وذلك في كتابه "المناظر".

وأيضا كيف اكتشف العالم المسلم ابن النفيس "الدورة الدموية الصغرى"؛ وهو الكشف الذي انتحله في الغرب" وليم هارفي ١٥٧٨-١٦٥٧م. وكان طبيب لشارل الأول ملك إنجلترا فيما بعد في غفلة من المسلمين الذي كانوا قد انبهروا في تلك الفعلة بالثقافة الغربية البراقة السهلة الميسورة التي لا تكاد تعي دعوة الخلاق العظيم قال تعالى: (أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَٰكِن تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ) (الحج ٤٦).

ونتأمل هنا التوجيه الرباني الذي يوحي إلى باحثي العلم -دون أن يشعروا- بآليات البحث العلمي من مشاهدات حسية ومدركات عقلية ومعارف إنسانية ومناهج أخلاقية وتربوية، فجلّ مَن علم الإنسان ما لم يعلم.

وقد ساعد هذا السبق عند المسلمين أن المجتمع المسلم كان مصدرًا للثقافة والحضارة معًا إلى غيره من المجتمعات قبل أن يصبح هذا المجتمع المسلم مستوردًا من غيره لكل شيء بما في ذلك "الحضارة والثقافة" وكان لا بد من أن يحدث ذلك؛ حيث إن النهر في مساره يتجه دائمًا إلى مهابط الفراغ، ويا له من فراغ!!

فالمجتمع الذي يحيا حياة التقليد الأعمى مجتمع يعطي "الاستهلاك" كل همّه، ويميل إلى "الاجترار" دون "الابتكار"، ويجنح إلى التقييد دون التجديد، وينعكس هذا على أسلوبه في التربية والتعلم فيميل أبناؤه إلى "الصم دون الفهم"، والقفز إلى النتائج قبل تنفيذ المقدمات، وكثيرًا ما يتمرد أفراده على القيم الأصيلة، ويهرولون في غير وعي أو تمييز إلى القيم الدخيلة.

ذلك أنهم قد هجروا الضوابط والروابط التي رسمه الحق سبحانه ليكونوا بحق، كما قال تعالى: (كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُم مِّنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ) (آل عمران: ١١٠).

والله المستعان.

واحة التوحيد

من نور كتاب الله

تنبيه الأنام بعداوة إبليس للإنسان

قال الله تعالى: " يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ لَا يَفۡتِنَنَّكُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ كَمَآ أَخۡرَجَ أَبَوَيۡكُم مِّنَ ٱلۡجَنَّةِ يَنزِعُ عَنۡهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوۡءَٰتِهِمَآۚ إِنَّهُۥ يَرَىٰكُمۡ هُوَ وَقَبِيلُهُۥ مِنۡ حَيۡثُ لَا تَرَوۡنَهُمۡۗ إِنَّا جَعَلۡنَا ٱلشَّيَٰطِينَ أَوۡلِيَآءَ لِلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ " (الأعراف: ٢٧).

أحاديث باطلة لها آثار سيئة

"طاعة النساء ندامة". موضوع: أخرجه العقيلي (ص ٣٨١) وابن عدي (ق ١/١٥٦). (السلسلة الضعيفة للألباني).

من هدي رسول الله صلى الله عليه وسلم

قال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم: «على كلّ مسلم صدقة»، فقالوا: يا نبيّ الله، فمن لم يجد؟ قال: «يعمل بيده فينفع نفسه ويتصدّق»، قالوا: فإن لم يجد؟ قال: يعين ذا الحاجة الملهوف»، قالوا: فإن لم يجد؟ قال: «فليعمل بالمعروف، وليمسك عن الشرّ فإنّها له صدقة».

(متفق عليه: صحيح البخاري، وصحيح مسلم).

حكم ومواعظ

كتب أبو الدّرداء إلى سلمة بن مخلد: «أمّا بعد، فإنّ العبد إذا عمل بطاعة الله أحبّه الله، وإذا أحبّه الله حبّبه إلى خلقه، وإذا عمل بمعصية الله أبغضه الله؛ فإذا أبغضه بغّضه إلى خلقه» (الزهد للإمام أحمد).

من فضائل الصحابة

الاقتداء بهم وقبول أخبارهم

عن حذيفة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "اقتدوا باللّذَين من بعدي: أبي بكر وعمر، واهتدوا بهدي عمار، وما حدثكم ابن مسعود فاقبلوه". (صحيح الجامع).

إعداد : علاء خضر

من أقوال الصحابة

قال عبد الله بن مسعود رضي الله عنهما: «إن هذا السلطان قد ابتليتم به ، فإن عدل كان له الأجر وعليكم الشكر، وإن جار كان عليه الوزر وعليكم الصبر». (أخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه (٤٦٨/٧) (٣٧٢٩٤).

من درر أقوال علماء الجماعة

يقول رشاد عبد المجيد الشافعي: وهو-أي التوحيد- يحفظ على المسلم إنسانيته، ويصون كرامته؛ فلا يَذل للحجر، ولا يَتبرك بالشجر، ولا يطوف بمقصورات الموتى، ولا يطلب النصرة إلا من اللهِ، ولا يسأل إلا إياه، ولا يستعين إلا به، ولا يضرع إلا إليه وحده. (مجلة التوحيد- عدد المحرم: ١٣٩٣هـ).

من حكمة الشعر

قال الشاعر عن الحلم:

لن يدرك المجد أقوام وان كرموا
حتى يذلوا وان عزوا لأقوام
ويُشتموا فترى الألوان كاسفة
لا ذُلّ عجزٍ ولكن ذلّ أحلام

من معاني الأحاديث

(خلع) فيه «من خلع يدًا من طاعة لقي الله تعالى يوم القيامة لا حُجةً له» (صحيح مسلم)؛ أي خرج من طاعة سلطانه، وعدا عليه بالشر، وهو من خلعت الثوب إذا ألقيته عنك. شبَّه الطاعة واشتمالها على الإنسان به، وخص اليد لأن المعاهدة والمعاقدة بها.

من فقه السياسة

ذكر أعرابي أميرًا فقال: كان إذا ولي لم يطابق بين جفونه، وأرسل العيون على عيونه؛ فهو غائب عنهم شاهد معهم؛ فالمحسن راجٍ، والمسيء خائف. وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: لا يصلحَ لهذا الأمر إلا اللين في غير ضعف، القويَ في غير عنف.

(العقد الفريد).

نظرات

في حديث أُبَيّ بن كعب رضي اللّه عنه في الصلاة على النبي صلى اللّه عليه وسلم

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، وبعد:

فهذه بعض نظرات في سند ومتن حديث أبي بن كعب رضي الله عنه، في الصلاة على النبي -صلى الله عليه وسلم- الذي حيَّر الكثير من أهل العلم، واختلفوا بين الحكم على سنده وبين توجيه معناه.

إعداد د. متولي البراجيلي
دكتوراه في الشريعة - جامعة القاهرة

أولاً: الحديث:

عن أُبَيَ بن كعبِ رضي الله عنه قال: قلت يا رسول الله إني أُكثر الصلاة عليك؛ فكمْ أجعل لك من صلاتي؟ فقال: ما شئتَ. قلت: الربع؟ قال ما شئتَ، فإن زدت فهو خير لك. قلت: النصف؟ قال ما شئت، فإن زدتَ فهو خير لك. قلت، فالثلثين؟ قال: ما شئت، فإن زدت فهو خير لك، قلت: أجعل لك صلاتي كلها؟ قال: إذا تكفين همك، ويغفر لك ذنبك (أخرجه الترمذي وغيره).

ثانيا: فضل الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم:

أ- قال الله تعالى: (إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيۡهِ وَسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا) (الأحزاب ٥٦).

إن لم يكن في فضل الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم إلا هذه الآية لكفت، إذ يخبر-سبحانه وتعالى- أنه يصلي على النبي صلى الله عليه وسلم، والملائكة كذلك يصلون على النبي صلى الله عليه وسلم، ثم شرف الله تعالى عباده الذين آمنوا بأن أمرهم أن يصلوا أيضًا عليه، عليه الصلاة والسلام.

ب- بعض الأحاديث في فضل الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم:

١- عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: البخيل من ذُكرت عنده ولم يصلِّ عليَّ (أخرجه النسائي وغيره، صحيح الجامع ح ٢٨٧٨).

٢- عن عامر بن ربيعة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "ما من مسلم يصلي عليَّ إلا صلت عليه الملائكة، ما دام يصلي عليَّ، فليقل من ذلك أو ليكثر" (أخرجه ابن ماجه وغيره، انظر صحيح الترغيب والترهيب ١٦٦٩، وقال الأرناؤوط في

تعليقه على المسند: حديث حسن).

٣. عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: إذا سمعتم المؤذن فقولوا مثلما يقول، ثم صلوا عليَّ، فإنه من صلى عليَّ صلاة صلى الله عليه بها عشرًا، ثم سلوا لي الوسيلة، فإنها منزلة في الجنة لا تنبغي إلا لعبد من عباد الله... (صحيح مسلم وغيره).

٤. عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: رغم أنف رجل ذكرت عنده فلم يصل عليَّ... (مسلم وغيره). (الرغام: التراب، أي التصق أنفه بالتراب، كناية عن الذل).

٥. عن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "من صلى عليَّ صلاة واحدة صلى الله عليه عشر صلوات، وحطت عنه عشر خطيئات، ورفعت له عشر درجات. (رواه النسائي وصححه الألباني في صحيح النسائي والأرناؤوط في المسند).

ثالثا: سند حديث أبي بن كعب رضى الله عنه:

الحديث في سنده عبد الله بن محمد بن عقيل، وقد اختلف أهل العلم في الحكم عليه:

كان سفيان بن عيينة لا يحمد حفظ بن عقيل. ويقول: كان في حفظه شيء فكرهت أن ألقاه. وقال يحيى بن معين: ليس بذاك، ولما سئل عنه وعن عاصم بن عبيد الله قال: ما أحب واحدًا منهما في الحديث. وقال عنه: ضعيف في كل أمره. وقال أبو حاتم: لين الحديث، ليس بالقوي ولا ممن يُحتج بحديثه، يُكتب حديثه. (انظر الجرح والتعديل لابن أبي حاتم ت ٧٠٦).

وذكره ابن حبان في المجروحين وقال: كان رديء الحفظ، كان يُحدِّث عن التوهم فيجيء بالخبر على غير سننه، فكلما كثر ذلك في أخباره وجبت مجانبتها والاحتجاج بضدها. (انظر المجروحين ٢/٣-٤).

وفي الكامل، نقل عن يحيى ابن معين أنه ضعيف الحديث. وقال لا يحتج بحديثه. وذكر أيضًا أن الإمام مالك لم يُدخله في كتبه. وذكر عن السعدي: عامة ما يروي من غريب. ثم ذكر له عدة أحاديث، وقال: وقد روى عنه جماعة من المعروفين الثقات، وهو خير من ابن سمعان ويكتب حديثه. (انظر الكامل في ضعفاء الرجال ٥/٢٠٩,٢٠٥).

وذكر الدارقطني عن سفيان بن عيينة قوله: "أربعة من قريش لا يُعتمد على حديثهم: عبد الله بن محمد عقيل، وعاصم بن عبد الله، وجعفر بن محمد، وعلي بن زيد. (انظر تعليقات الدارقطني على المجروحين لابن حبان ص١٦٨).

وذكر الدارقطني في العلل: ضعيف، ليس بالقوي. (انظر العلل ١/١٠٧/١٧٤).

وذكره ابن الجوزي في: الضعفاء والمتروكون ت٢١١٢.

وفي تهذيب الكمال ذكر عن محمد بن سعد قول في ابن عقيل: وكان منكر الحديث، لا يحتجون بحديثه، وكان كثير العلم. وذكر أن مالكًا لم يكن يروي عنه، ولا يحيى بن سعيد. وقال أحمد بن حنبل: ابن عقيل منكر الحديث.

وعن علي بن المديني قال: كان ضعيفًا. وقال النسائي: ضعيف، وقال الحاكم: كان أحمد بن حنبل وإسحاق بن إبراهيم يحتجان بحديثه، ليس بذاك المتين المعتمد. وقال الترمذي: صدوق، وقد تكلم فيه بعض أهل العلم من قِبَل حفظه. وقال البخاري: وهو مقارب الحديث. (انظر تهذيب الكمال ت ٣٥٤٣).

وذكر الذهبي في ميزان الاعتدال: حديثه

في مرتبة الحسن (انظر ميزان الاعتدال ت ٣٥٤٣) وخلاصة ما سبق لخّصه الحافظ ابن حجر، بقوله: سيئ الحفظ يصلح حديثه للمتابعات. فأما إذا انفرد فيحسن، وأما إذا خالف لم يُقبل. (انظر التلخيص الحبير ١٠٨/٢).

رابعًا: هل انفرد ابن عقيل بهذا الحديث، أم أن هناك متابعات وشواهد؟

ذكر العلماء للحديث شواهد منها عند عبد الرزاق ح٣١١٤، وفيه يعقوب التيمي وهو تابعي صغير، فحديثه مرسل أو معضل.

وشاهد عند الطبراني ح ٣٥٧٤ من حديث حبان بن منقذ واسناده ضعيف جدًا لا يصلح للاعتبار به، وكذلك شاهد عن أبي هريرة رضي الله عنه، وهو ضعيف. (الكامل في الضعفاء). فمن نظر إلى هذه الشواهد والمتابعات-وإن كانت لا يُفرح بها على حدة- قال بأن الحديث حسن لغيره، وممّن حسّنه الترمذي، والمنذري قال: إسناده جيد، وحسنه الحافظ في الفتح ١١٦٨/١١، والألباني في الصحيحة ح ٩٥٤.

وضعّف الحديث جماعة من أهل العلم. (انظر: المسند المصنف المعلل، لبشار عواد معروف وجماعة من المحققين ح٩١، ومجلة الدراسات الاسلامية جامعة الملك سعود المجلد ٣٠ العدد ١ ١٤٣٩هـ، وبحث متعلق بالحديث سندًا ومتنًا، خلص فيه الباحث إلى ضعف الحديث سندًا، وأن شواهده لا تخلو من ضعف، وأن متنه معارض للنصوص المتواترة في حثّ المسلم على الدعاء لنفسه.

خامسًا: قلت الحديث من ناحية الإسناد، فإن الحكم عليه مسألة اجتهاد بحسب الحكم على عبد الله بن عقيل.

ومن ناحية متن الحديث: لو أخذنا بتحسين الحديث كما ذهب إلى ذلك جماعة من العلماء، كيف نفهم ونوجّه معنى الحديث؟

١- من ناحية فضل الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم، فليس هذا هو موضع البحث؛ لأن هذا متفق عليه بين علماء الأمة قاطبة، وسبق أن بدأت ببعض أحاديث في فضل الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم.

٢- أشكل معنى الحديث على كبار العلماء، فما بالنا بالعوام، فالصلاة في الحديث بمعنى الدعاء؛ أي الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم، فهل المقصود من الحديث، ألا أدعو الله تعالى بأي دعاء مكتفيًا بالصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم؟

٣- إن هناك أدعية ثابتة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في مواقف شتى، علمها لبعض الصحابة رضي الله عنهم وكانوا من أقرب الناس إليه، ولم يوجههم إلى الاكتفاء بالصلاة عليه فقط، كما في حديث أبي بن كعب رضي الله عنه.

٤- كلام اهل العلم في توجيه معنى الحديث:

أ- يقول ابن القيم، وسئل ابن تيمية عن تفسير هذا الحديث، فقال كان لأبي بن كعب دعاء يدعو به لنفسه، فسأل النبي صلى الله عليه وسلم: هل يجعل له منه ربعه صلاة عليه... الحديث. قال: لأن في ذلك امتثالاً لأمر الله تعالى، وعلى ذكره وتعظيمه، وتعظيم رسوله صلى الله عليه وسلم، وقد جاء في الحديث القدسي: "من شغله ذكري عن مسألتي أعطيته أفضل ما أعطي السائلين".

ففي الحقيقة لم يفت بذلك الصرف شيئًا على المصلي، بل حصل له بتعرضه بذلك الثناء الأعظم أفضل ما كان يدعو به لنفسه، وحصل له مع ذلك صلاة الله وملائكته عليه عشرًا. (انظر جلاء الافهام ص ٧٩).

ب- التعيين: وأن هذا خاص بأبي بن كعب، لأمر علمه رسول الله صلى الله عليه وسلم عن أبي فوجّهه إلى ذلك. وقد يؤيد هذا من أن أبيًا

رضي الله عنه كان له دعاء معين في وقت معين يدعو به، ما وقع في بعض الروايات. قال القاري في المرقاة: "وللحديث روايات كثيرة وفي رواية: إني أصلي من الليل، بدلاً من: أكثر الصلاة عليك، فعلى هذا قوله. فكم أجعل لك من صلاتي، أي بدل صلاتي من الليل" (انظر مرقاة المفاتيح ١٦/٤ – ١٧).

ج- المراد الإكثار من الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم، يعني كلما دعوت لنفسي صليت عليك، فكل هنا دلالة على الكثرة، مثال ذلك، صيام شعبان، ففي الحديث عن أم سلمة رضي الله عنها: أن النبي صلى الله عليه وسلم لم يكن يصوم من السنة شهرًا تامًا إلا شعبان يصله برمضان. (صحيح سنن أبي داود).

فظاهر الحديث أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يصوم شعبان بكامله، إذا أخذنا الحديث بمفرده دون النظر إلى النصوص الأخرى، كما بحديث عائشة رضي الله عنها وفيه... كان يصوم شعبان إلا قليلاً (صحيح مسلم).

فالمعنى: هو الإكثار من الصيام في شعبان. فكذلك إذا جمعنا حديث أبي بن كعب رضي الله عنه مع النصوص الأخرى في مختلف أنواع الدعاء، والحث عليه، وبيان فضله، نقول: إن المراد هو الإكثار من الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم، وليس ترك الدعاء بالكليه والاكتفاء على الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم. فلو أخذنا بظاهر الحديث فقط، فكان العبد لا يقول: رب اغفر لي، رب ارحمني، اللهم ارزقني، (ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة، وقنا عذاب النار).

وهذا خلاف ما جاءت به الشريعة، فالعبد مأمور أن يدعو لنفسه في السجود، وفي الجلسة بين السجدتين، وفي دعاء الاستفتاح، وفي السفر، وفي آخر ساعة بعد العصر يوم الجمعة، بل في جميع أحوال العبد.

فالحديث-لو أخذنا بتحسينه- لا يعني أن يمتنع الإنسان عن الدعاء لنفسه مطلقًا، وأن يقتصر على الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم، فهذا مخالف لسنة النبي صلى الله عليه وسلم القولية والعملية، وتعليمه وإرشاده الصحابة إلى الأدعية المتنوعة والكثيرة.

فالعبد مأمور أن يدعو ربه تعالى (وقال ربكم ادعوني استجب لكم) (غافر: ٦٠)، وأفضل الدعاء ما جاء في كتاب الله تعالى، وفي صحيح سنة النبي صلى الله عليه وسلم، وأن يكثر من الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم؛ فيجمع بين الأمرين، وبين الخيرين.

الخلاصة:

١. إسناد الحديث فيه خلاف بين أهل العلم.

٢. متن الحديث إما أن يُحمل على أنه خاصّ بأُبي بن كعب رضي الله عنه. (وقرينة التخصيص معارضته للنصوص الكثيرة الآمرة بالدعاء).

أو يكون معناه كثرة الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم، وليس معناه أن نترك الدعاء بالكلية.

بل نجتهد في جميع الطاعات بحسب الوقت والحاجة، وأن نكثر من الدعاء؛ فإنه من أحب الطاعات إلى الله، وأن نكثر من الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم.

والله أعلم.

صناعة التفاهة

إعداد **د. أحمد سليمان**
رئيس فرع بلبيس

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وبعد:

فعن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "سيأتِي على الناسِ سنواتٌ خدَاعاتُ؛ يُصدَّقُ فيها الكاذِبُ، ويُكذَّبُ فيها الصادِقُ، ويُؤتَمنُ فيها الخائِنُ، ويُخوَّنُ فيها الأمينُ، وينطِقُ فيها الرُّوَيبِضَةُ. قيلَ: وما الرُّوَيبِضةُ؟ قال: الرجُلُ التَّافِهُ يتَكلَّمُ في أمرِ العامةِ". أخرجه الإمام أحمد في مسنده، وصحح إسناده أحمد شاكر والألباني في صحيح الجامع (٣٦٥٠).

يُعرف الرويبضة بأنه: الإنسان العاجز الذي رَبَض عن معالي الأمور؛ أي قعد عن طلبها، وهي تصغيرٌ لكلمة رابضة، وكما ورد هنا في الحديث أنَّه الرجل التافه الذي يتكلَّم في الأمور العامة، وقيل: هو الرجل الذي لا يُنظرُ إليه، ولا قيمة له، ويتكلَّم فيما شاء من أمور العامة، ويرفع من يشاء من الناس، وقد صدق الشاعر عندما قال:

خنافسُ الأرض تجري في أعنَّتِها
وسابحُ الخيل مربوطٌ إلى الوتد

واكرمُ الأُسْد محبوسٌ ومُضطهدٌ
وأحقرُ الدودِ يسعى غير مضطهدِ
وأتفهُ الناس يقضي في مصالحهمْ
حكمَ الرويبضة المذكورِ في السنَدْ

فبيَّن -صلوات الله وسلامه عليه- أنه بين يدي الساعة تتغير الأحوال، وتتبدل المفاهيم، وتنقلب الموازين.. ويعيش الناس في خديعة كبيرة، لا يعرفون صادق الناس من كاذبهم، ولا أمين القوم من خائنهم.

اختلال عام:

إنه لم يَخْلُ زمان من تصديق كاذب أو تكذيب صادق، أو ائتمان خائن وتخوين أمين.

فقد كان فرعون صاحب أكبر كذبة في الوجود، عندما قال للناس: أنا ربكم الأعلى، ودعا الناس لعبادته، وزعم أنه يريد الخير لهم والصلاح، وكان موسى أصدق من مر على أهل مصر وبني إسرائيل، وأنصحهم وأخلصهم لهم.. ومعِ ذلك صدَق كثير من الناس فرعون وكذَبوا موسى.

وكان مؤمن آل يس أكثر قومه أمانة لهم ونصحًا لهم، حين أمرهم أن يتبعوا المرسلين، ونصحهم بطاعة رب العالمين: «وَجَآءَ مِنْ أَقْصَا ٱلْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَىٰ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱتَّبِعُوا۟ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٢٠﴾ ٱتَّبِعُوا۟ مَن لَّا يَسْـَٔلُكُمْ أَجْرًا وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٢١﴾ وَمَا لِىَ لَآ أَعْبُدُ ٱلَّذِى فَطَرَنِى وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢٢﴾ ءَأَتَّخِذُ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً إِن يُرِدْنِ ٱلرَّحْمَٰنُ بِضُرٍّ لَّا تُغْنِ عَنِّى شَفَٰعَتُهُمْ شَيْـًٔا وَلَا يُنقِذُونِ ﴿٢٣﴾ إِنِّىٓ إِذًا لَّفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٢٤﴾ إِنِّىٓ ءَامَنتُ بِرَبِّكُمْ فَٱسْمَعُونِ ﴿٢٥﴾ قِيلَ ٱدْخُلِ ٱلْجَنَّةَ قَالَ يَٰلَيْتَ قَوْمِى يَعْلَمُونَ ﴿٢٦﴾ بِمَا غَفَرَ لِى رَبِّى وَجَعَلَنِى مِنَ ٱلْمُكْرَمِينَ» (يس: ٢٠-٢٧).

قال قتادة: جعلوا يرجمونه بالحجارة، وهو يقول: "اللهم اهدِ قومي، فإنهم لا يعلمون". فلم يزالوا به حتى أقعصوه وهو يقول كذلك، فقتلوه، رحمه الله.

وعن ابن مسعود: إنهم وطئوه بأرجلهم حتى خرج قُصْبه من دُبره، وقال الله له: «ادخل الجنة»، فدخلها فهو يرزق منها، قد أذهب الله عنه سقم الدنيا وحزنها ونصبها.

وقال ابن عباس: نصح قومه في حياته بقوله: «يَٰقَوْمِ ٱتَّبِعُوا۟ ٱلْمُرْسَلِينَ» (يس: ٢٠)، وبعد مماته في قوله: «يَٰلَيْتَ قَوْمِى يَعْلَمُونَ ﴿٢٦﴾ بِمَا غَفَرَ لِى رَبِّى وَجَعَلَنِى مِنَ ٱلْمُكْرَمِينَ» (يس: ٢٦- ٢٧).

فخوَّنوه وهو الأمين، وكذَّبوه وهو الصادق.

إنه اختلال تام، وانتشار الأمر وفشوّه، حتى يصبح سمة عامة وعلامة مميزة لأهل ذلك الزمان.. فيتجلى الكرب، ويدلهم الخطب، وتكثر الفتن والبلايا، وتعظم المحن والرزايا.

إن التافهين قد حسموا المعركة لصالحهم في هذه الأيام .. لقد تغير الزمن زمن الحق والقيم .. ذلك أن التافهين أمسكوا بكل شيء.. بكل تفاهتهم وفسادهم..

فعند غياب القيم والمبادئ الراقية.. يطفو الفساد المبرمج في كل الأصعدة..

إنه زمن الصعاليك .. الهابط، وكلما تعمق الإنسان في الإسفاف والابتذال والهبوط ازداد جماهيرية وشهرة.

الأسوأ أن التفاهة غيّرت مفاهيم ومقاييس النجاح في حياتنا، فالنجاح أصبح يعني الشذوذ لا التميز، لم يعد النجاح شأناً إنسانياً تحكمه الأخلاقيات، بل هو مجرد بحث عن أي وسيلة للشهرة حتى على حساب الدين والقيم والمبادئ!! في زماننا هذا، تمكَن التافهون والتافهات من السيطرة على حياتنا، وفى طريقهم الآن لإفراغ المفاهيم والقيم من معناها..

الابتذال هو السائد، والتسطيح يضرب بجذوره وبضراوة في وجداننا، واستسلم المجتمع لمنتجي التفاهات من مشاهير مواقع التواصل، ومن طفا على الساحة الإعلامية.

والكارثة تتمثل في نجاح المحتوى المتدني النافذ عبر منصات التواصل الاجتماعي والتطبيقات في استقطاب الكثير من الشباب والفتيات وتأثر المجتمع جملةً بهم.

ويكمن ضررها على الأجيال القادمة عندما تربى على أهمية العقل والإبداع في الحياة.. وبين الواقع الذي يمجد الهزل ويرفع التافهين.. فينشأ جيل حائر بين هذه المتناقضات لا يدري أيصدق الواقع الذي يعيشه أو المنهج الذي يتعلمه.

فكم علمنا أبناءنا أهمية العلم وفضل العلماء الراسخين والأئمة المهتدين والذين بذلوا أوقاتهم في الرحلة والتحصيل والجمع والتأليف.

ثم يأتي إلى الواقع والأفعال فيجد أنها تهدم كل ما قيل له.. فيجد أن أصحاب العقول والمبدعين وأصحاب المواهب والابتكارات أكثر الناس تهميشًا وأشدهم عزلة.. وأبعدهم عن صناعة القرار وواقع الحياة.. لا يؤبه لهم ولا يلتفت إليهم إلا على استحياء.

بينما صناع التفاهة ومروجو الهزل تُنصَب لهم الرايات وتُذاع عنهم الأخبار ويستضافون في الحلقات وعلى القنوات ويقدمون للجيل على أنهم هم القدوات.

إن من يراقب الواقع اليوم يرى تدنيًا علميًا شديدًا مع الأجيال الحاضرة، فَقَدْنَا في زمننا من يصبر على قراءة الكتب وحفظ المتون ودراسة الأسانيد والتعمق العلمي واكتفى جماهير الناس بمقطع صغير يسمعه أو موعظة لا تتعدى دقيقة فيفتحه وما زاد على ذلك فالوقت لا يسعفه!

إنه زمن قلت فيه الكتابة والتحصيل وانغمس فيه الناس على الهواتف وشبكات التفاهة والتضليل، وعزفوا عن سماع الثقات من العلماء النابهين حتى فيما يعن لهم من مسائل الدين فالهواتف بين أيديهم فلا حاجة للسفر والتطويل فكلٌ يدلي بدلوه والمواقع قد فتحت أبوابها للتسهيل.

وأخطر ما في ذلك الاجتراء على الإفتاء في مسائل الدين، وهو بعد لم يفهم ما تعنيه خطورة التوقيع عن رب العالمين.

قال ابن القيم رحمه الله: "ولما كان التبليغ عن الله سبحانه يعتمد العلم بما يبلغ، والصدق فيه، لم تصلح مرتبة التبليغ بالرواية والفتيا إلا لمن اتصف بالعلم والصدق؛ فيكون عالمًا بما يبلغ صادقًا فيه، ويكون مع ذلك حسن الطريقة، مرضي السيرة، عدلًا في أقواله وأفعاله، متشابه السر والعلانية في مدخله ومخرجه وأحواله؛ وإذا كان منصب التوقيع عن الملوك بالمحل الذي لا ينكر فضله، ولا يجهل قدره، وهو من أعلى المراتب السنيات، فكيف بمنصب التوقيع عن رب الأرض والسموات؟ فحقيق بمن أقيم في هذا المنصب أن يعد له عدته، وأن يتأهب له أهبته، وأن يعلم قدر المقام الذي أقيم فيه، ولا يكون في صدره حرج من قول الحق والصدع به؛ فإن الله ناصره وهاديه، وكيف هو المنصب الذي تولاه بنفسه رب الأرباب فقال تعالى: « وَيَسْتَفْتُونَكَ فِي ٱلنِّسَآءِۖ قُلِ ٱللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِيهِنَّ وَمَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فِي ٱلْكِتَٰبِ » (النساء: ١٢٧)، وَكَفَى بِمَا تَوَلَّاهُ اللَّه تَعَالَى بِنَفْسِه شَرَفًا وَجَلَالَةً؛ إِذْ يَقُولُ فِي كِتَابِه: «يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ ٱللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِي ٱلْكَلَٰلَةِۚ » (النساء: ١٧٦).

ومن يراجع حال العلماء المتثبتين يرى وجلهم وخوفهم من الإفتاء وهم أجمع الناس لآلة الاجتهاد!!

فعن ابن مسعود وابن عباس قالا: من

أفتى الناس في كل ما يسألونه عنه فهو مجنون.

وقال ابن شبرمة: سمعت الشعبي إذا سُئل عن مسألة شديدة قال: رب ذات وبر لا تنقاد ولا تنساق؛ ولو سئل عنها الصحابة لعضلت بهم.

وقال أبو حصين الأسدي: إن أحدهم ليفتي في المسألة ولو وردت على عمر لجمع لها أهل بدر.

وقال عبد الرحمن بن مهدي: جاء رجل إلى مالك، فسأله عن شيء فمكث أيامًا ما يجيبه، فقال: يا أبا عبد الله إني أريد الخروج، فأطرق طويلاً ورفع رأسه فقال: ما شاء الله، يا هذا إني أتكلم فيما أحتسب فيه الخير، ولست أحسن مسألتك هذه.

وقد عقد ابن عبد البر في كتابه جامع بيان العلم فضله فصولا ماتعة حول هذا ومنه:

ما ورد عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: " كيف أنتم إذا لبستكم فتنة يربو فيها الصغير ويهرم الكبير وتتخذ سنة مبتدعة يجري عليها الناس، فإذا غير منها شيء قيل: قد غيرت السنة " قيل: متى ذلك يا أبا عبد الرحمن؟ قال: «إذا كثر قراؤكم وقل فقهاؤكم، وكثر أمراؤكم وقل أمناؤكم، والتمست الدنيا بعمل الآخرة، وتفقه لغير الدين» جامع بيان العلم وفضله (١١٣٥).

قال أبو حازم: "قدم هشام بن عبد الملك المدينة فاجتمع إليه فقهاء الناس وإلى جنبي الزهري فقال لي الزهري: يا أبا حازم ألا تحدث الناس بعض أحاديثك؟ فقلت: بلى كان الناس الفقهاء مرة يستغنون بعلمهم عن أهل الدنيا، ويقضون في علمهم ما لا يقضي أهل الدنيا في دنياهم، فكان أهل الدنيا يقربونهم ويعظمونهم على ذلك، فأصبح العلماء اليوم يبذلون علمهم لأهل الدنيا رغبة في دنياهم، فلما رأى أهل الدنيا موضع العلم عند أهله زهدوا فيه وازدادوا رغبة في دنياهم. جامع بيان العلم وفضله (١١٣٧).

وعن أبي الدرداء أنه كان يقول: «تعلموا العلم قبل أن يقبض العلم وقبضه أن يذهب بأصحابه، العالم والمتعلم شريكان في الخير، وسائر الناس لا خير فيهم، إن أغنى الناس رجل عالم افتقر إلى علمه فنفع من افتقر إليه وإن استغني عن علمه نفع نفسه بالعلم الذي وضع الله عز وجل عنده، فمالي أرى علماءكم يموتون وجُهَالكم لا يتعلمون، ولقد خشيت أن يذهب الأول ولا يتعلم الآخر، ولو أن العالم طلب العلم لازداد علمًا وما نقص العلم شيئًا، ولو أن الجاهل طلب العلم لوجد العلم قائما، فمالي أراكم شباعًا من الطعام جياعًا من العلم» جامع بيان العلم (١٠٣٦).

نعم والله إن العلم يرفع كل يوم، والجهل يزاد كل ساعة، ومن جهل أقدار العلماء ازدراهم وتنقص منهم. فكل من جهل شيئًا عاداه.

قال الماورديّ رحمه الله تعالى: «ليس يجهل فضل العلم إلاّ أهل الجهل، لأنّ فضل العلم إنّما يعرف بالعلم. وهذا أبلغ في فضله، لأنّ فضله لا يعلم إلاّ به، فلمّا عدم الجاهلون العلم الّذي به يتوصّلون إلى فضل العلم جهلوا فضله، واسترذلوا أهله، وتوهّموا أنّ ما تميل إليه نفوسهم من الأموال المقتناة، والطّرف المشتهاة، أولى أن يكون إقبالهم عليها، وأحرى أن يكون اشتغالهم بها» (أدب الدين والدنيا، ص١٧).

هذا ونسأل الله أن يثبتنا على الحق وأن يرزقنا العلم النافع والعمل الصالح.

وصل الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه.

الصِّدق

إعداد: م/محمد ياسين بدر حسين النجار
رئيس فرع التل الكبير

الحمـد لله وحده، والصـلاة والسلام على من لا نبي بعده، وأشهـد أن لا إله إلا الله وحده لا شريـك له... وأشهـد أن محمدًا عبده ورسولـه.. (يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ) (آل عمران ١٠٢). وبعدُ:

ما يزال حديثنا عن أخلاق ديننا... وحديثنا اليوم عن خُلق (الصِّدق).

- الصِّدق هو قول الحق، ومطابقة الكلام للواقع.

- أمر الله تعالى بالصدق؛ فقال جل وعلا: (يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ) (التوبة ١١٩).

- الصدق منجاة... عَنِ ابْنِ مَسْعُود رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّه صلى اللَّه عليه وسلم: (عَلَيْكُمْ بالصِّدْقِ، فَإِنَّ الصِّدْقَ يهْدِي إِلَى الْبِرِّ، وإِنَّ الْبِرَّ يَهْدِي إِلَى الْجَنَّة، ومَا يَزَالُ الرَّجُلُ يَصْدُقُ ويَتَحَرَّى الصِّدْقَ حَتَّى يُكْتَبَ عِنْدَ اللَّه صِدِّيقًا، وإِيَّاكُمْ والْكَذِبَ، فَإِنَّ الْكَذِبَ يَهْدِي إِلَى الْفُجُورِ، وإِنَّ الْفُجُورَ يَهْدِي إِلَى النَّارِ، ومَا يَزَالُ الرَّجُلُ يَكْذِبُ ويَتَحَرَّى الْكَذِبَ حَتَّى يُكْتَبَ عِنْدَ اللَّه كَذَّابًا). مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ واللفظ لمسلم.

الصدق من صفات الله عز وجل؛ قال سبحانه وتعالى: (ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۚ لَيَجۡمَعَنَّكُمۡ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ لَا رَيۡبَ فِيهِۗ وَمَنۡ أَصۡدَقُ مِنَ ٱللَّهِ حَدِيثٗا) (النساء ٨٧).

والصدق من صفات الأنبياء والمرسلين؛ قال تعالى: (قَالُواْ يَٰوَيۡلَنَا مَنۢ بَعَثَنَا مِن مَّرۡقَدِنَاۜۗ هَٰذَا مَا وَعَدَ ٱلرَّحۡمَٰنُ وَصَدَقَ ٱلۡمُرۡسَلُونَ) (يس ٥٢).

والصدق من صفات نبينا محمد صلى الله عليه وسلم؛ قال تعالى: (وَٱلَّذِي جَآءَ بِٱلصِّدۡقِ وَصَدَّقَ بِهِۦٓ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُتَّقُونَ) (الزمر ٣٣).

والصدق من صفات الصحابة رضي الله

عنهم؛ قال تعالى: (لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِن دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا وَيَنصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ ۚ أُولَٰئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ) (الحشر ٨).

من أنواع الصدق:

١- الصدق مع الله تعالى؛ فيلتزم المسلم بطاعة مولاه، ويُخلص له العبادة؛ قال تعالى: (طَاعَةٌ وَقَوْلٌ مَّعْرُوفٌ ۚ فَإِذَا عَزَمَ الْأَمْرُ فَلَوْ صَدَقُوا اللَّهَ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ) (محمد ٢١)، وقال سبحانه: (مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ ۖ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ ۖ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا) (الأحزاب ٢٣)، وقال جل وعلا: (قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ) (الأنعام ١٦٢).

٢- الصدق مع الناس: فلا يكذب في الحديث معهم، ولا يغشهم في المعاملة؛ فعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال صلى الله عليه وسلم: (أربع من كن فيه كان منافقًا خالصًا، ومن كانت فيه خصلة منهن كانت فيه خصلة من النفاق، حتى يدعها: إذا حدَّث كذب، وإذا وعد أخلف، وإذا خاصم فجر، وإذا عاهد غدر) رواه الشيخان.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم مرّ على صُبْرَة طعام، فأدخل يده فيها فنالت أصابعه بللاً، فقال: (ما هذا يا صاحب الطعام؟)، قال: أصابته السماء يا رسول الله، قال: (أفلا جعلته فوق الطعام كي يراه الناس؟ من غشّ فليس مني) رواه مسلم.

وفي رواية أخرى للحديث عند مسلم: (من غشنا فليس منا).

٣- الصدق مع النفس: وذلك بمحاسبتها وتصحيح أخطائها؛ قال تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ ۖ وَاتَّقُوا اللَّهَ ۚ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ) (الحشر ١٨).

ومن فوائد الصدق:

١- الصادق من أفضل الناس: عن عبد الله بن عمرو قال: قيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم: أي الناس أفضل؟ قال: (كل مخموم القلب، صدوق اللسان)، قالوا: صدوق اللسان نعرفه، فما مخموم القلب؟ قال: (هو التقي النقي، لا إثم فيه ولا بغي، ولا غل، ولا حسد) (رواه ابن ماجه: ٤٢١٦، وصححه الألباني في صحيح ابن ماجه: ٣٣٩٧).

٢- إجابة الدعاء: عَنْ سهل بن حُنَيْف رضي الله عنه أنّ رَسُولَ اللَّه صلى الله عليه وسلم قَالَ: (مَنْ سأَلَ اللَّه تَعَالَى الشَّهَادةَ بِصِدْقٍ بلَّغهُ اللَّه منَازِلَ الشُّهَداءِ وإنْ ماتَ على فراشِه) رواه مسلم.

٣- حصول البركة في البيع والشراء: عن حكيم بن حزام رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (البَيِّعان بالخيار ما لم يتفرقا، فإن صدقا وبيّنا بُورك لهما في بيعهما، وإن كتما وكذبا مُحقت بركة بيعهما) متفق عليه.

٤- طمأنينة القلب: فعن أبي محمد الحسن بن علي رضي الله تعالى عنهما، قال: حفظت من رسول الله صلى الله عليه وسلم (دع ما يريبك إلى ما لا يريبك؛ فإن الصدق طمأنينة، والكذب ريبة). أخرجه الترمذي: ٢٥١٨، والنسائي: ٥٧١١).

٥- رضوان الله: قال تعالى: « قَالَ اللَّهُ هَٰذَا يَوْمُ يَنفَعُ الصَّادِقِينَ صِدْقُهُمْ ۚ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ۚ رَّضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ۚ ذَٰلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ » (المائدة: ١١٩).

٦- الفوز بالجنة: قال النبي صلى الله عليه وسلم: (اضمنوا لي ستًّا من أنفسكم أضمن لكم الجنة: اصدقوا إذا حدثتم، وأوفوا إذا وعدتم، وأدوا إذا اؤتُمنتم، واحفظوا فروجكم، وغضوا أبصاركم، وكفوا أيديكم). أخرجه أحمد وابن حبان والحاكم وصححه الألباني في صحيح الترغيب.

فاللهم اجعلنا من الصادقين.

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين. وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

الرحمة

إعداد الشيخ إبراهيم حافظ رزق

مدرس القرآن الكريم
بالأزهر الشريف - بالمعاش

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وبعد:

فإن الدين الإسلامي هو الدين الذي شرَّفنا الله بالانتساب إليه، وهو عقيدة وعبادة ومنهج حياة، وهو كذلك دين أخلاق ومعاملة، فما من خُلق قويم إلا دعا الإسلام إليه وحثَّ أتباعه على التمسك به.

وما من خُلق رذيل إلا حذَّر الإسلام منه ونهى أتباعه عنه، فربَّى الإسلام أتباعه على مجموعة من المبادئ القويمة والأخلاق الفاضلة التي لو تمسكوا بها لسعدوا بها في الدنيا وفازوا بها في الآخرة.

ومن الأخلاق التي دعا إليها الإسلام: خلق الرحمة؛ هذا الخلق دعا إليه القرآن وحثَّ عليه النبي العدنان عليه الصلاة والسلام في سننه. فالله سبحانه سمى نفسه باسمين رقيقين مشتقين من الرحمة هما: الرحمن الرحيم. ففي الصحيح يقول تعالى: «أنا الرحمن أنا خلقت الرحم وشققت لها اسمًا من اسمي فمن وصلها وصلته ومن قطعها قطعته». فهو سبحانه أرحم الراحمين بل أرحم بالعباد من أنفسهم.

فمن فضل الله وإحسانه وكرمه أنه كتب على نفسه الرحمة فقال تعالى: «كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ ٱلرَّحْمَةَ» (الأنعام: ٥٤).

وفي البخاري يقول النبي صلى الله عليه وسلم: «لما قضى الله الخلق كتب في كتاب عنده فوق العرش أن رحمتي غلبت غضبي»؛ فهو سبحانه الذي لا نظير له في رحمته.

ورحمة ربنا سبحانه رحمة عامة وخاصة؛ فرحمة ربنا العامة في الدنيا تشمل البر والفاجر والمؤمن والكافر وهو سبحانه وتعالى يقول: «وَرَحْمَتِى وَسِعَتْ كُلَّ شَىْءٍ» (الأعراف: ١٥٦)، هذه هي الرحمة العامة.

أما رحمته الخاص سبحانه وتعالى فهي رحمته لأوليائه المؤمنين من عباده في الآخرة «وَرَحْمَتِى وَسِعَتْ كُلَّ شَىْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَٰتِنَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٥٦﴾ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِىَّ ٱلْأُمِّىَّ» (الأعراف: ١٥٦- ١٥٧).

ورسولنا محمد صلى الله عليه وسلم ضرب أروع الأمثلة في خلق الرحمة، فهو الرحمة المهداة من أرحم الراحمين فكان عليه الصلاة والسلام أرحم خلق الله بخلق الله، فقد قال عنه ربه سبحانه: «وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً

لِّلْعَالَمِينَ » (الأنبياء: ١٠٧). وقال تعالى عنه: « فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ » (آل عمران: ١٥٩). وقال تعالى: « لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ » (التوبة: ١٢٨).

ومن أمثلة رحمة النبي عليه الصلاة والسلام موقفه عند رجوعه من الطائف بعد أن أغرى أهلها سفهاءهم به عليه الصلاة والسلام؛ فقذفوه بالحجارة حتى أسالوا دمه الشريف، فأرسل الله إليه مَلك الجبال ومعه جبريل عليه السلام. فقال كما في الصحيح: «إن ربك قد سمع مقالة قومك لكم فإن أردت أن أطبق عليهم الأخشبين فعلت». ولكنه عليه الصلاة والسلام قال: « لا، لعل الله أن يخرج من أصلابهم من يعبده». البخاري.

وتظهر رحمته عليه الصلاة والسلام في تعامله مع زوجاته وأصحابه فقد كان عليه الصلاة والسلام رحيمًا رفيقًا؛ فلم يؤثر عنه أنه ضرب زوجة ولا أهان خادمًا. فهذا أنس ابن مالك رضي الله عنه يقول في الصحيح: «خدمت رسول الله صلى الله عليه وسلم عشر سنين، فما قال لي أف قط ولا لشيء فعلته لم فعلته»، بل تعدت رحمته إلي الطير والحيوان والجماد.

فالرحمة في الإسلام عامة لكل الخلق فهي للإنسان والطير والحيوان، بل تشمل رحمة الإسلام حتى غير أتباعه. وقد حث الإسلام أتباعه على التراحم فيما بينهم. ففي الحديث: «الراحمون يرحمهم الرحمن، ارحموا من في الأرض يرحمكم من في السماء». وفي البخاري: «من لا يرحم لا يرحم». ومن حديث أبي هريرة: «ليس منا من لم يرحم صغيرنا ويوقر كبيرنا» (رواه أحمد والحاكم بسند صحيح)، وروي أحمد والحاكم بسند حسن: « لا تُنزع الرحمة إلا من شقي».

ومن صفات أهل الإيمان أنهم يتراحمون فيما بينهم؛ فيرحم بعضهم بعضًا، ويعطف كبيرهم على صغيرهم؛ فقد قال الله سبحانه في صفة النبي وأصحابه: « مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ » (الفتح: ٢٩)، وفي الحديث: «مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم كمثل الجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الأعضاء بالسهر والحمى».

وكل تلك الرحمات نابعة من رحمة الله سبحانه وتعالى؛ ففي الحديث الصحيح، عن أبي هريرة: «إن لله مائة رحمة أنزل منها رحمة واحدة تتراحم بها الخلائق حتى أن الدابة لترفع حافرها عن وليدها خشية أن تصيبه، وأخّر الله تسعًا وتسعين رحمة يرحم بها عباده يوم القيامة».

وفي الختام هناك أسباب تنال بها رحمة الله سبحانه وتعالى، ومن ذلك طاعة الله بامتثال أمره واجتناب نواهيه وأداء ما افترض الله على عباده، قال تعالى: « وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ » (آل عمران: ١٣٢). وقال تعالى: « وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ » (النور: ٥٦).

ومن تلك الأسباب أيضًا: اتباع القرآن والعمل بما فيه من أحكام؛ لقول الله تعالى: « وَهَٰذَا كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ فَاتَّبِعُوهُ وَاتَّقُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ » (الأنعام: ١٥٥).

الاستماع إلى القرآن والإنصات له وتدبر آياته: « وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنصِتُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ » (الأعراف: ٢٠٤).

الاستغفار قال تعالى: «لَوْلَا تَسْتَغْفِرُونَ اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ » (النمل: ٤٦).

الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وإقامة الصلاة وإيتاء الزكاة وطاعة الله ورسوله، « وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَٰئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ » (التوبة: ٧١).

الإحسان: الإحسان في الطاعة والعبادة والأخلاق والمعاملات: « إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ الْمُحْسِنِينَ » (الأعراف: ٥٦).

نسأل الله أن يُدخلنا جميعًا في رحمته وأن يشملنا جميعًا بعفوه ورعايته، وصلِّ اللهم وسلم على نبينا محمد وعلى آله وأصحابه والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين.

القيادة الوالدية

إعداد **الشيخ/عادل شوشة**

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله أما بعد،

فتعد مهمة الوالدين في الأسرة من أهم المهام القيادية في حياة الإنسان، إذ تتطلب قدرًا من المعرفة والمهارة لتوجيه سلوكيات الأبناء واكتشاف نقاط القوة والتعامل مع نقاط الضعف بالإضافة إلى ما تُفضي إليه عملية النمو من تغييرات بيولوجية ونفسية

ومن هنا كان من الضروري أن يتعرف الآباء والأمهات على مفاهيم القيادة عامة وأن يتقنوا المهارات القيادية المساعدة في التأثير على الأبناء من أجل تحقيق أهداف عملية التربية.

ولا يمكن أن تعمل القيادة الوالدية بفاعلية من دون تنظيم، وهنا تبرز أهمية المهارات التنظيمية للآباء والأمهات، ونعني بها في سياق عملية التربية قدرة الوالدين على رؤية الأسرة كفريق متكامل، وفهم الترابط بين مكوناته، وأثر التغييرات التي تحدث في جزء منه على بقية أجزائه، وكذلك تنظيم العمل وتوزيع الواجبات وتنسيق الجهود وأن يدرك الجميع القواعد المنظمة للأسرة (انظر مقال ملامح-شخصية-الأب-المسلم على https://www.balagh.com).

ويقوم بمسئولياته المنوطة به، وقدَ أشار الرسول صلى الله عليه وسلم إلى ذلك بقوله: كُلُّكُمْ رَاعٍ، وَكُلُّكُمْ مَسْئُولٌ عَنْ رعيَّته، والأميرُ رَاعٍ، وَالرَّجُلُ رَاعٍ عَلَى أَهْلِ بَيْتِهِ، وَالْمَرْأَةُ رَاعِيَةٌ عَلَى بَيْتِ زَوْجِهَا وَوَلَدِه، فَكُلُّكُمْ رَاعٍ، وَكُلُّكُمْ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِه. (أخرجه البخاري في "صحيحه" (٧ / ٣١) برقم: (٥٢٠٠)).

ويجب أن يحرص الوالدان على التمتع بالمرونة العقلية في تقبل أفكار أبنائهم المتباينة والمتجددة، وكذلك القدرة على تطوير الأهداف التربوية بناء على التحليل والاستنتاج وتبعًا لمتطلبات الظروف

والوقت.

فليس الهدف من القيادة الوالدية السيطرة والتحكم في عقول ونفسيّات الأبناء وانما مساعدتهم على اكتشاف ذواتهم ورسم طريق قويم لمعاشهم في الحياة بما لا يتنافى مع عبوديتهم لله جل جلاله والعمل للآخرة، وعليه فلا يجب أن يكون الوالدان سيفًا مسلطا على رقاب أبنائهم ولا أن يرخيا لهم حبل القيادة ولكن التعامل الحازم مع إظهار الحب والمودة.

هذا هو الطريق الذي رسمه القرآن لرب الأسرة ليقوم بالأمانة التي حُملها فأمره أن يقوم بواجب حماية أسرته من عذاب الآخرة قال تعالى: « يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارٗا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلۡحِجَارَةُ عَلَيۡهَا مَلَٰٓئِكَةٌ غِلَاظٞ شِدَادٞ لَّا يَعۡصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمۡ وَيَفۡعَلُونَ مَا يُؤۡمَرُونَ » (التحريم: ٦)

ونبهه على ضرورة الحذر والحزم من مجتمعه الخاص وفي نفس الوقت يأمره إن عثر على ما لا ينبغي أن يعفو ويصفح ، فأمره أولا بالحزم والحذر، وثانيا بالعفو والصفح قال تعالى: « يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّ مِنۡ أَزۡوَٰجِكُمۡ وَأَوۡلَٰدِكُمۡ عَدُوّٗا لَّكُمۡ فَٱحۡذَرُوهُمۡۚ وَإِن تَعۡفُواْ وَتَصۡفَحُواْ وَتَغۡفِرُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٌ » (التغابن: ١٤). (انظر محاضرة محاسن الدين الإسلامي للعلامة محمد الأمين الشنقيطي من كتاب محاضرات الشنقيطي ص١٦).

وهذا هو سر نجاح القيادة الوالدية:

- حزم وحذر كي لا تحمله محبتهم على طاعتهم فيما يضر أو في فعل المعصية فيفعلوا فيه فعل الأعداء،
- وفي ذات الوقت عفو وصفح يرحم به ضعفهم ويظهر به محبته ورأفته بهم

أهمية القيادة بالحب والحنان والرحمة:

الحب والحنان والرحمة هو من أهم الحقوق التي افتقدها كثير من الأبناء في آبائهم، فالحب وحده -وهو أمر فطري في الآباء- لا يكفي؛ بل لا بد من سقايته بماء الحنان والرحمة فيترعرع الطفل وينشأ سوي النفس معتدل المزاج.

والعطف على الصغار يولد فيهم حب آبائهم والسير على منهاجهم وطريقتهم ويجنبهم مخاطر العقوق والتمرد.

وإذا لم يشعر الطفل بهذه المحبة فسوف ينشأ محباً لنفسه فقط كارها لكل من حوله.

وإذا وجد الحب تمت عملية التربية بسهولة لأن " المحب لمن يحبُّ مطيع "

ولهذه الحكمة أمر الله سبحانه وتعالى نبيه بمعاملة الناس بالحب والشفقة واللين قال تعالى: « فَبِمَا رَحۡمَةٖ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمۡۖ وَلَوۡ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلۡقَلۡبِ لَٱنفَضُّواْ مِنۡ حَوۡلِكَۖ فَٱعۡفُ عَنۡهُمۡ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لَهُمۡ وَشَاوِرۡهُمۡ فِي ٱلۡأَمۡرِۖ فَإِذَا عَزَمۡتَ فَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُتَوَكِّلِينَ » (١٥٩) سورة آل عمران.

فالمربي الغليظ القاسي يُبغضه الأطفال ويبغضون معه كل فكرة وعلم وأخلاق، ولا يقبلون منه أي نصح وتوجيه لفظاظته وشدته.

ولا يكتفي المربي بالمحبة القلبية المتغلغلة في قلبه بل عليه أن يظهرها؛ لينقاد الأولاد له متأسيا في ذلك برسول الله صلى الله عليه وسلم:

عَنِ الْبَرَاءِ قَالَ: رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَاضِعًا الْحَسَنَ بْنَ عَلِيٍّ عَلَى عَاتِقِهِ وَهُوَ يَقُولُ: اللَّهُمَّ إِنِّي أُحِبُّهُ فَأَحِبَّهُ. (أخرجه البخاري في "صحيحه" (٣٧٤٩)

ومسلم في "صحيحه" (٢٤٢٢)).

وعَنْ عَبْدِ اللَّه قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللَّه صَلَّى اللَّه عَلَيْه وَسَلَّمَ " يُصَلِّي فَإِذَا سَجَدَ وَثَبَ الْحَسَنُ وَالْحُسَيْنُ عَلَى ظَهْرِه، فَإِذَا أَرَادُوا أَنْ يَمْنَعُوهُمَا أَشَارَ إِلَيْهِمْ أَنْ دَعُوهُمَا، فَإِذَا قَضَى الصَّلَاةَ وَضَعَهُمَا فِي حَجْرِه. قَالَ: ،مَنْ أَحَبَّنِي فَلْيُحِبَّ هَذَيْنِ. (إسناده حسن أخرجه أبو يعلى (٥٠١٧) ، "قال محققه حسين أسد" : إسناده حسن ، و"قال الألباني" : إسناده حسن رجاله ثقات رجال مسلم إلا أنه إنما أخرج لعاصم وهو ابن أبي بهدلة متابعة).

عَنْ جَابِرِ بْنِ سَمُرَةَ- رضي الله عنه- قَالَ: " صَلَّيْتُ مَعَ رَسُولِ اللَّه- صلى الله عليه وسلم- صَلَاةَ الأُولَى، ثُمَّ خَرَجَ إِلَى أَهْلِه وَخَرَجْتُ مَعَهُ، فَاسْتَقْبَلَهُ وِلْدَانٌ، فَجَعَلَ يَمْسَحُ خَدَّيْ أَحَدِهِمْ وَاحِدًا وَاحِدًا، قَالَ: وَأَمَّا أَنَا فَمَسَحَ خَدِّي، فَوَجَدْتُ لِيَدِه رِيحًا، كَأَنَّمَا أَخْرَجَهَا مِنْ جُؤْنَةِ عَطَّارٍ". (هيَ السَّقط الَّذي فِيهِ مَتَاع الْعَطَّار. النووي (ج ٨ / ص ٤٠)، والحديث أخرجه مسلم (٢٣٢٩)).

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّه صَلَّى اللَّه عَلَيْه وَسَلَّمَ كَانَ يُؤْتَى بِأَوَّلِ الثَّمَرِ، فَيَقُولُ: اللَّهُمَّ بَارِكْ لَنَا فِي مَدِينَتِنَا، وَفِي ثِمَارِنَا، وَفِي مُدِّنَا، وَفِي صَاعِنَا بَرَكَةً مَعَ بَرَكَةٍ، ثُمَّ يُعْطِيهِ أَصْغَرَ مَنْ يَحْضُرُهُ مِنَ الْوِلْدَانِ. (أخرجه مسلم (١٣٧٣)).

الرحمة بالاطفال لا تمنع من تاديبهم:

عَنْ حُذَيْفَةَ قَالَ: كُنَّا إِذَا حَضَرْنَا مَعَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّه عَلَيْه وَسَلَّمَ طَعَامًا، لَمْ نَضَعْ أَيْدِيَنَا حَتَّى يَبْدَأَ رَسُولُ اللَّه صَلَّى اللَّه عَلَيْه وَسَلَّمَ فَيَضَعَ يَدَهُ، وَإِنَّا حَضَرْنَا مَعَهُ مَرَّةً طَعَامًا فَجَاءَتْ جَارِيَةٌ كَأَنَّهَا تُدْفَعُ، فَذَهَبَتْ لِتَضَعَ يَدَهَا فِي الطَّعَامِ فَأَخَذَ رَسُولُ اللَّه صَلَّى اللَّه عَلَيْه وَسَلَّمَ بِيَدِهَا، ثُمَّ جَاءَ أَعْرَابِيٌّ كَأَنَّمَا يُدْفَعُ فَأَخَذَ بِيَدِهِ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّه صَلَّى اللَّه عَلَيْه وَسَلَّمَ: إِنَّ الشَّيْطَانَ يَسْتَحِلُّ الطَّعَامَ أَنْ لَا يُذْكَرَ اسْمُ اللَّه عَلَيْه، وَإِنَّهُ جَاءَ بِهَذِه الْجَارِيَةِ لِيَسْتَحِلَّ بِهَا فَأَخَذْتُ بِيَدِهَا، فَجَاءَ بِهَذَا الأَعْرَابِيِّ لِيَسْتَحِلَّ بِه فَأَخَذْتُ بِيَدِه، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِه، إِنَّ يَدَهُ فِي يَدِي مَعَ يَدِهَا. (أخرجه مسلم في "صحيحه" (٢٠١٧).).

وعن عُمَرَ بْنِ أَبِي سَلَمَةَ قَالَ: كُنْتُ فِي حِجْرِ رَسُولِ اللَّه صَلَّى اللَّه عَلَيْه وَسَلَّمَ وَكَانَتْ يَدِي تَطِيشُ فِي الصَّحْفَةِ، فَقَالَ لِي: يَا غُلَامُ، سَمِّ اللَّه، وَكُلْ بِيَمِينِكَ، وَكُلْ مِمَّا يَلِيكَ. (أخرجه البخاري في "صحيحه" (٥٣٧٦) ، ومسلم في "صحيحه" (٢٠٢٢)).

ومع شدة محبة النبي صلى الله عليه وسلم للحسن إلا أن ذلك لم يجعله يبيح له الحرام، ,

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّه عَنْهُ: أَخَذَ الْحَسَنُ بْنُ عَلِيٍّ رَضِيَ اللَّه عَنْهُمَا تَمْرَةً مِنْ تَمْرِ الصَّدَقَةِ، فَجَعَلَهَا فِي فِيهِ، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّه عَلَيْه وَسَلَّمَ: كِخْ كِخْ. لِيَطْرَحَهَا، ثُمَّ قَالَ: أَمَا شَعَرْتَ أَنَّا لَا نَأْكُلُ الصَّدَقَةَ. (أخرجه البخاري في "صحيحه" (١٤٩١) ، ومسلم في "صحيحه" (١٠٦٩)).

وبذلك يتبين أن أهم عناصر القيادة الوالدية حمل هم التربية والتوجيه مع مراعاة الرأفة والرحمة وإظهار الحب والمودة مع وجود نظام وحرص على تمكين الأولاد وإدخالهم إلى عالم تحمل المسئولية ومراقبة الله جل جلاله بمراعاة الحلال والحرام في وقت مبكر. (للاستزادة انظر: القيادة الوالدية مع دكتور إبراهيم الخليفي والأستاذ ياسر الحزيمي على منصة خطوة عبر الرابط التالي : https://youtu.be/cAsQn_uXxps I).

قصة مفتراة على النبي صلى الله عليه وسلم وجبريل عليه السلام

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وبعد: فنواصل في هذا التحذير تقديم البحوث العلمية الحديثية للقارئ الكريم حتى يقف على حقيقة هذه القصة الواهية التي اشتهرت وانتشرت على ألسنة القصاص والوعاظ وإلى القارئ الكريم التخريج والتحقيق:

الشيخ علي حشيش

أولًا: أسباب ذكر هذه القصة

١) وجود هذه القصة في بعض كتب السنة الأصلية يجعل من لا دراية له بالصناعة الحديثية يتوهم أن هذه القصة صحيحة، ولكن سنتبين من التحقيق أنها قصة باطلة موضوعة.

٢) إن هؤلاء الوضاعين من إفكهم ليقولون كما في المتن: «إن رسول الله صلى الله عليه وسلم استقبل جبريل فناوله يده، فأبى جبريل أن يتناولها. فسأله النبي صلى الله عليه وسلم فقال: «يا جبريل ما منعك أن تأخذ بيدي؟.

قال جبريل: إنك أخذت بيد يهودي فكرهت أن تمس يدي يدًا مستها يد كافر، فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم بماء فتوضأ ثم ناوله يده فتناولها».

٣) وإن تعجب فعجب أن بعض من لا دراية له يتخذ من هذا الحديث أسوة، فلا يصافح نصرانيًا، ويكره أن تمس يده يد نصراني، وقد تسبب ذلك في مشاكل؛ ناسيًا أنه في بلد الجميع له حق المواطنة، وأنه في بلد مؤسسات الجميع له حق العمل فيها فكيف لو جمعتهم الوظيفة في مؤسسة واحدة قد يكون هذا النصراني مديرًا فيها، وكيف به لو في محافظة من محافظات هذا البلد محافظها نصرانيًا بحكم المواطنة؛ فإذا اقتضى الأمر لمقابلته فهل تمتنع من تناول يده عملاً بهذا الحديث الباطل الذي جاءت به هذه القصة الواهية؟

٤) وكيف به إذا سافر إلى بلاد الغرب وأشعل بهذا الحديث نار فتنة كراهية الإسلام المسماة: «الإسلاموفوبيا».

وهذا المصطلح يعرف «الإسلاموفوبيا»: بالخوف والكراهية الموجهة ضد الإسلام كقوة سياسية تحديدًا، والتحامل والتمييز ضد المسلمين. اهـ.

ومنهم من يتزوج هناك بكتابية، فيعامل أهلها بهذا الحديث الكذب المختلق المصنوع الموضوع وتنشأ الكراهية بهذا الحديث ومثله: «من صافح يهوديًا أو نصرانيًا فليتوضأ وليغسل يده».

٥) ولقد بيّنا من قبل أن مثل هذه القصص تفتح بابًا أمام طعن المستشرقين في سماحة الإسلام حيث نشرت مجلة «التوحيد» الغراء في جمادى الأولى ١٤٢٧هـ في هذا الباب قصة: «أم حبيبة مع أبيها أبي سفيان» في أكثر من مائة وعشرين سطرًا تخريجًا وتحقيقًا جاء فيها باختصار شديد أن أبا سفيان لما قدم المدينة جاء إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، فكلمه أن يزيد في هدنة الحديبية فلم يقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم.

فقام فدخل على ابنته أم حبيبة زوج النبي صلى الله عليه وسلم، فلما ذهب أبو سفيان ليجلس على فراش النبي صلى الله عليه وسلم طوته دونه؛ فقال: يا بُنية! أرغبت بهذا الفراش عني أم بي عنه؟ فقالت: بل هو فراش رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنت امرؤ نجس مشرك، فقال: يا بُنية لقد أصابك بعدي شر. اهـ.

قلت: هذه القصة أخرجتها بعض كتبة السنة الأصلية وكشفنا عوارها وبينا عارها، وأخرجنا عللها، وبينا أنها قصة باطلة منكرة، والقرائن تدل على عدم صحتها كما في قول الله تعالى: «وَوَصَّيْنَا الْإِنسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا عَلَى وَهْنٍ وَفِصَالُهُ فِي عَامَيْنِ أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَيَّ الْمَصِيرُ ١٤ وَإِن جَاهَدَاكَ عَلَى أَن تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبْهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا» (لقمان: ١٤-١٥).

ونتساءل: هل من المعروف أن تمنع أم حبيبة أم المؤمنين أباها من الجلوس على فراش النبي صلى الله عليه وسلم وتطوي الفراش وتنهر أباها، وتقول لأبيها هو فراش رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأنت امرؤ نجس مشرك؟

انظر إلى الأثر السيئ لهذه القصص الواهية، ألم يخاطب الله تعالى نساء النبي صلى الله عليه وسلم قائلاً سبحانه: «وَاذْكُرْنَ مَا يُتْلَى فِي بُيُوتِكُنَّ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ وَالْحِكْمَةِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ لَطِيفًا خَبِيرًا» (الأحزاب: ٣٤).

٦) ولقد أخرج الإمام البخاري في «صحيحه» (ح ٢٦٢٠، ٣١٨٣، ٥٩٧٨، ٥٩٧٩)، ومسلم في «صحيحه» (١٠٠٣) من حديث أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنها قالت: قدمت عليَّ أمي وهي مشركة في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فاستفتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم إنَّ أمِّي قدمتْ وهي راغبةٌ؟ أفأصلها؟ قالَ: «نعم، صلي أمَّك».

فائدة: هذا الحديث الذي في أعلى مراتب الصحة بوب له الإمام البخاري بابًا قال: باب «الهدية للمشركين، وقول الله تعالى: «لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ» (الممتحنة: ٨)».

هذه هي سماحة الإسلام التي يجب أن يكون عليها الذين يذهبون إلى بلاد الغرب في بعثات علمية أو دراسة أو عمل. تلك الأصول التي جاءت في الكتاب والسنة كما بيناها واندرست أمام تحريف الغالين وانتحال المتطرفين، وهذا يحتم على كل من ينادي بتجديد الخطاب الديني أن يهتم بمحورين من أهم محاور تجديد الخطاب الدين:

الأول: تجديد الخطاب الديني بإحياء ما انطمس واندرس من معالم السنن الصحيحة ونشرها بين الناس بمنهج أهل الحديث كقصة أسماء بنت أبي بكر مع أمها وتبويب البخاري لها بآية الممتحنة، وهذا من دقيق فقه البخاري للباب والسنة معًا.

المحور الثاني: تجديد الخطاب الديني بتخليص الدين مما ليس منه، كما في القصة المفتراة على أم حبيبة زوج النبي صلى الله عليه وسلم مع أبيها أبي سفيان وتمنعه من الجلوس على فراش النبي صلى الله عليه وسلم، وتقول لأبيها: أنت امرؤ نجس مشرك.

وكما في القصة التي معنا في بحثنا هذا وهي مفتراة على النبي صلى الله عليه وسلم وجبريل عليه السلام، وإلى القارئ الكريم تخريج وتحقيق هذه القصة:

ثانيا: المتن

روي عن الزبير بن العوام قال: استقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم جبريل عليه السلام فناوله يده فأبى أن يتناولها، فقال لجبريل: «يا جبريل ما منعك أن تأخذ بيدي، قال: إنك أخذت بيد يهودي، فكرهت أن تمس يدي يدًا قد مستها يد كافر، قال: فدعا رسول الله صلى

الله عليه وسلم بماء فتوضأ فناوله يده فأخذ بيده». اهـ.

ثالثًا: التخريج

١) أخرجه الحافظ الطبراني في «المعجم الأوسط» (٣٨٧/٣) ح(٢٨٣٧) قال: حدثنا إبراهيم قال: حدثنا سعيد بن أبي الربيع السمان، قال حدثنا عمر بن أبي عمر العبدي، عن هشام بن عروة، عن أبيه، عن جده قال: «استقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم جبريل...» الحديث.

٢) وأخرجه الحافظ العقيلي في «الضعفاء الكبير» (١١٤٩/١٦٠/٣) قال: حدثنا أحمد بن محمد بن إبراهيم، قال: حدثنا سعيد بن أشعث بن سعيد، قال: حدثني عمر بن أبي عمر العبدي به.

٣) وأخرجه الإمام ابن الجوزي في «الموضوعات» (٧٧/٢) قال: أنبأنا عبد الوهاب بن المبارك، أنبأنا محمد بن المظفر، أنبأنا العتيقي، حدثنا يوسف بن أحمد العقيلي، حدثنا أحمد بن محمد بن إبراهيم به.

فائدة مهمة: الإمام ابن الجوزي أخرج الحديث من طريق الإمام العقيلي، ولكن حدث تصحيف في جميع طبعات ابن الجوزي فدمج اسم الإمام العقيلي مع اسم تلميذه يوسف بن أحمد في اسم واحد؛ فصحف من يوسف بن أحمد، عن العقيلي إلى يوسف بن أحمد العقيلي واكتشف هذا التصحيف بالبحث عن الذين رووا عن العقيلي في «سير أعلام النبلاء» (٤٣٩/٩)، ترجمة (٣١٠٢) للذهبي، والموضوعات لابن الجوزي (١٤٢/١).

رابعًا: التحقيق

هذا الحديث الذي جاءت به هذه القصة علته: عمر بن أبي عمر العبدي.

١) قال الإمام الذهبي في «الميزان» (٦١٠٩/١٩٧/٣): عمر بن أبي عمر العبدي: هو عمر بن رياح أبو حفص العبدي البصري قال الفلاس: «دجال» وقال الدارقطني: «متروك الحديث».

وقال ابن عدي: «الضعف على حديثه بين».

ثم ختم ترجمته الإمام الذهبي فقال: «وله خبر باطل: أن النبي صلى الله عليه وسلم استقبله جبريل فناوله يده فأبى، وقال: إنك أخذت بيد يهودي، قال: فتوضأ». اهـ.

٢) قال الإمام ابن حبان في «المجروحين» (٨٦/٢): «كان ممن يروي الموضوعات عن الأثبات، لا يحل كتابة حديثة إلا على جهة التعجب». اهـ.

الاستنتاج: الخبر الذي جاءت به القصة: خبر باطل موضوع واضعه دجال متروك.

خامسًا: طريق أخرى

قال الإمام الحافظ ابن عدي في «الكامل» (٢٦٥/٥) (١٤١٠/٤٤٢): «أخبرنا أبو يعلى قال: حدثنا سعيد بن أبي الربيع قال: حدثنا عنبسة بن سعيد قال: حدثنا هشام بن عروة عن أبيه عن جده به».

سادسًا: التحقيق

١) قال الحافظ الطبراني بعد أن أخرج الحديث بالطريق الأول: «لم يروِ هذا الحديث عن هشام إلا عمر، تفرَّد به سعيد». اهـ.

قلت: قوله هذا -عفا الله عنا وعنه- فيه نظر.

فقوله: «لم يرو هذا الحديث عن هشام إلا عمر». بالمقارنة بالطريق الآخر الذي أخرجه الإمام ابن عدي نجد أن «عنبسة بن سعيد قال حدثنا هشام بن عروة...»؛ فعمر لم ينفرد بالحديث عن هشام، ولكن له متابع متابعة تامة عن هشام؛ حيث رواه عنبسة عن هشام.

٢) وهي متابعة واهية لا تزيد الحديث إلا وهنًا على وهنه. قال الإمام الحافظ ابن حبان في «المجروحين» (١٧٨/٢): «عنبسة بن سعيد (عنبسة بن عبد الرحمن بن عنبسة بن سعيد (منكر الحديث جدًا، لا يجوز الاحتجاج به إذا لم يوافق الثقات، وكان يزيد بن هارون يسميه عنبسة المجنون». اهـ. أورده الذهبي في «الميزان» (٢٩٩/٣)، وقال الفلاس: عنبسة سمعت منه؛ وكان مختلطًا متروك الحديث. اهـ.

هذا ما وفقني الله إليه، وهو وحده من وراء القصد.

درر البحار
في بيان ضعيف الأحاديث القصار

إعداد: **الشيخ علي حشيش**

(٩٨٢): «الدين راية الله في الأرض، فإذا أراد الله أن يذل عبدًا وضعها في عنقه».

الحديث لا يصح: أورده الإمام السيوطي في «مخطوطة درر البحار في الأحاديث القصار» (٢/٤٢) مكتبة الحرم النبوي «الحديث» رقم المخطوطة (٢١٣/١٠٧) وقال: (ك عن ابن عمر).

قلت: «ك» ترمز إلى الحاكم في «مستدركه».

وهذا تخريج بغير تحقيق فيتوهم من لا دراية له بالصناعة الحديثية أن الحديث صحيح، ولكن هذا الحديث كما سنبين من التخريج والتحقيق أنه حديث «موضوع» مع بيان حد هذا المصطلح وتطبيقه على هذا الحديث، حتى يجد طالب العلم أيضًا في هذا البحث دراسة «لعلم الحديث التطبيقي».

أولا: التخريج

الحديث أخرجه الإمام الحافظ أبو عبد الله الحاكم النيسابوري في «المستدرك» (٢/٢٤) قال: أخبرنا الشيخ أبو بكر بن إسحاق الفقيه، أنبأنا محمد بن غالب، حدثنا بشر بن عبيد الدارسي، حدثنا حماد بن سلمة، عن أيوب، عن نافع، عن ابن عمر، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم... فذكره.

ثانيًا: التحقيق

١) هذا الحديث علته بشر بن عبيد الدارسي: أورده الإمام الذهبي في «الميزان» (١/٣٢٠/١٢٠٥) وقال: «كذبه الأزدي، وقال ابن عدي: منكر الحديث عن الأئمة، بين الضعف جدًا».

٢) ثم ساق الإمام الذهبي لبشر ثلاثة أحاديث، ثم قال: «وهذه الأحاديث غير صحيحة فالله المستعان».

٣) ثم ساق لبشر حديثًا آخر، وقال: «إنه موضوع». اهـ.

٤) ونقل الإمام الحافظ ابن حجر في «اللسان» (٢/٣٣) (١٦١٥/٩٣) وأقره.

٥) الاستنتاج: نستنتج من أقوال الأئمة: أن بشر بن عبيد الدارسي: كذاب منكر الحديث بين الضعف جدًا، إذن الحديث «موضوع»، حيث ينطبق عليه تمام الانطباق قول الحافظ ابن حجر في «شرح النخبة» ص (٤٤): «الطعن بكذب الراوي في الحديث النبوي هو الموضوع». اهـ.

٦) فائدة مهمة جدًا: قال الإمام الحافظ أبو عبد الله الحاكم -عفا الله عنا وعنه- بعد أن أخرج هذا الحديث: «هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه». اهـ. فرد عليه الإمام الذهبي في كتابه «التلخيص»، قال: «بل فيه بشر بن عبيد الدارسي واهٍ». اهـ.

قلت: «بل بشر ليس من رجال مسلم ولا أخرج له أحد من رجال الكتب الستة». ولذلك ذكره الحافظ ابن حجر في «اللسان» كما بينا آنفًا. وإن تعجب فعجب قول من لا دراية له بالصناعة الحديثية عند ذكره لهذا الحديث وأمثاله: «أخرجه الحاكم وصححه». من غير تخريج ولا تحقيق. وهذا خطأ فاحش وبهتان عظيم لإيهام الناس بأنه كلام النبي صلى الله عليه وسلم بما لم يقل صلى الله عليه وسلم والكثير يفعل ذلك حتى في الرسائل العلمية.

رسالة إلى الذين يتخذون من دون الله أولياء يطلبون منهم ما لا يقدر عليه إلا الله! أين حق الله عليكم؟

أ.د. محمد عبد العليم الدسوقي
الأستاذ بجامعة الأزهر

بسم الله، والحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله..

أما بعد: ففي الصحيحين من حديث معاذ بن جبل رضي الله عنه، قال: كنتُ رديف النبيِّ صلى الله عليه وسلم على حمار فقال لي: (يا معاذ، أتدري ما حقَّ الله على العَباد؟ وما حقَّ العباد على الله؟)، قلت: الله ورسوله أعلم، قال: (فإنَّ حقَّ الله على العباد أن يعبدوه ولا يُشركوا به شيئًا، وحقَّ العباد على الله أن لا يُعذِّب مَن لا يُشرك به شيئًا)، قلت: يا رسول الله، أفلا أُبشر الناس؟؛ قال: (لا تُبَشِّرهم فيتَّكلوا).

وفي رواية: (.. فإن حق الله على العباد إذا فعلوا ذلك ألا يعذبهم).. وفي أخرى بلفظ: (.. ثم سار ساعة، ثمَ قال: يا معاذ بن جبل، قلت: لبَيك رسول الله وسعديك، قال: هل تدري ما حقَّ العباد على الله إذا هم فعلوا ذلك؟؛ قلتُ: الله ورسوله أعلم، قال: فإن حق العباد على الله إذا فعلوا ذلك أن يدخلهم الجنة)، وفي رواية أبي العوّام مثله، وزاد: (ويَغفر لهم)، وفي رواية ابن حبان من طريق عمرو بن ميمون: (أن يغفر لهم ولا يعذبهم). البخاري صحيح البخاري، كتاب التوحيد (٧٣٧٣)، و صحيح مسلم، كتاب الإيمان (٣٠).

١) معنى حق الله على عباده وحق العباد على الله:

والحديث بجميع رواياته وطرقه صريح في بيان أن حق الله على العباد جميعًا: توحيده وعدم الإشراك به؛ وعبادته وحده وإفراده دون ما ومَن سواه بجميع أنواع العبادات؛ والإخلاص له فيها، وطاعة أوامره والانتهاء عن نواهيه، قال الله تعالى: «واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئًا» (النساء: ٣٦)، وقال: «ولقد بعثنا في كل أمة رسولاً أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت» (النحل: ٣٦)، وقال: «وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه» (الإسراء: ٢٣)، وقال: «وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون» (الذاريات: ٥٦)، وقال: «إياك نعبد وإياك نستعين» (الفاتحة: ٥).. كذا بأسلوب القصر وما يفيده لغةً، إذ المعنى: (خصُّوه بالعبادة ولا تُشركوا به شيئًا).

ونظير ما سبق: قوله: «قل تعالوا أتل ما حرم ربكم عليكم ألا تشركوا به شيئًا» (الأنعام: ١٥١)، والمعنى: (قل يا محمد للناس جميعًا: هلمُّوا وأقبلوا أقصَ عليكم ما حرَّمه الله عليكم، فقد حرَّم عليكم أن تُشركوا به، وأوجب عليكم أن تخصُّوه بالعبادة.. إلى آخر ما جاء في وصية الله لعباده قائلاً: «ذلكم وصاكم به»؛ ووصية الرسول لأمته) وقد قال عنها ابنُ مسعود: "مَن أراد أن ينظر إلى وصية محمدٍ صلى الله عليه وسلم التي عليها خاتمه، فليقرأ قوله تعالى: «قل تعالوا أتل ما حرم ربكم عليكم» إلى قوله: «وأن هذا صراطي مستقيمًا» (الآيات: ١٥١- ١٥٣ من سورة الأنعام)".

يعني: فليقرأ وليعمل بهذه الأوامر والنَّواهي المشتملة على: توحيد الله ونبذ دقيق

الشرك وجليله، وبرّ الوالدين، وعدم قتل الأولاد كما كانت تفعله الجاهلية، والحذر من الفواحش ما ظهر منها وما بطن، وعدم الاقتراب من أموال اليتامى إلا بالتي هي أحسن حتى يبلغوا الحلم ويزول عنهم السفه، وتوفية الكيل والميزان، والوفاء بالعهد، والعدل في القول والعمل، واتباع الطريق المستقيم، وتجنب السبل المفرقة لدينه القويم.. وهي عشرة مسائل؛ كلها من الدين الذي شرعه الله لعباده، ومن العبادة التي خلق الله الإنس والجن لتحصيلها واعمالها.

وفي معنى حق الله على العباد يقول ابن حجر في (فتح الباري) ١١/٣٤٧: "هو: ما يستحقه الله على عباده مما جعله محتمًا عليهم.. قال القرطبي: حق الله على العباد. هو: ما وعدهم به من الثواب وألزمهم إياه بخطابه".

وغني عن البيان أن المستحق بالحتم والإلزام على العباد كيما يحققوا معنى ما في الحديث، هو: تحقيق التوحيد وتنقيته من شوائب الشرك والبدع والمعاصي، وصرف جميع أنواع العبادة ومظاهرها لله وحده، وهو ما يعرف بـ(توحيد العبادة أو توحيد الألوهية)؛ لأنّ (توحيد الربوبية) و(توحيد الأسماء والصفات) قد أقرّ بهما المشركون؛ وهذا معنى قوله جلّ وعلا: «ولئن سألتهم من خلق السماوات والأرض ليقون خلقهن العزيز العليم» (الزخرف: ٩)، وقوله: «قل من يرزقكم من السماء والأرض أمن يملك السمع والأبصار ومن يخرج الحي من الميت ويخرج الميت من الحي ومن يدبر الأمر فسيقولون الله فقل أفلا تتقون» (يونس:٣١).

ولا دلالة لذلك سوى أن أهل الشرك قديمًا وحديثًا يعرفون أنّ الله تعالى هو (العزيز) (العليم) (الخلاّق) (الرزاق) (المحيي المميت) (مدبر الأمور)، ولكنّهم أشركوا مع الله آلهة أخرى من أصنام، وأشجار، وأحجار، وأموات يزعمون أنها تُقربهم إلى الله زلفى، وأنها تشفع لهم، وقد ذكر الله ذلك عنهم صراحة ونقل عنهم قولهم: «ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى» (الزمر: ٣)، وقولهم: «هؤلاء شفعاؤنا عند الله» (يونس: ١٨).

فهم عبدوهم ودَعوهم بزعم أنهم شُفعاء الله؛ وأنهم يُقربونهم إلى الله زلفى جهلاً منهم وضلالاً، تمامًا كما يفعل البعض في زماننا، فأنكر الله عليهم ذلك في نحو:

قوله: «ويعبدون من دون الله ما لا يضرهم ولا ينفعهم ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله قل أتنبئون الله بما لا يعلم في السماوات ولا في الأرض سبحانه وتعالى عما يشركون»، بما يعني: أنه ليس له شريك في اجتلاب المنافع وطلب الحاجات أو رفع البلاءات ودفع المضرات، وأنه وحده الذي يملك كل ذلك.

وقوله: «والذين اتخذوا من دونه أولياء ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى» (الزمر:٣)، وقد قال جل وعلا في ردّ ذلك وفي عقبه: «إن الله يحكم بينهم فيما هم فيه يختلفون إن الله لا يهدي من هو كاذب كفار». فكذّبهم بقولهم: (يقربونا إلى الله زلفى)، وكفّرهم بهذا العمل. فأي عاقل يقبل على نفسه ذلك وبه قد جاءت الآيات إما طلبًا يُنفذ أو خبرا يُصدق، ودلّت جميعها على أنّ دعوة الأموات والاستغاثة بهم والنذر والذبح لهم أو للغائبين أو للكواكب أو للأصنام أو للجن هو من الشرك الأكبر، وأنه دين المشركين وقد برّأ الله منه سيد الأولين والآخرين قائلاً:

«قل إن صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين. لا شريك له وبذلك أمرت وأنا أول المسلمين» (الأنعام: ١٦٢- ١٦٣)، «إنا أعطيناك الكوثر. فصل لربك وانحر» (الكوثر:١- ٢).

وقائلاً: «وأن المساجد لله فلا تدعوا مع الله أحدًا» (الجن:١٨)، «ومن يدع مع الله إلهًا آخر لا برهان له به فإنما حسابه عند ربه إنه لا يفلح الكافرون» (المؤمنون: ١١٧).. فما كان منه - بأبي هو وأمي - إلا أن بلّغ ما برئ منه لأمته: ورسخه في نفوس أصحابه وتابعيهم بإحسان، ودل عليه بنحو قوله: (لعن الله من ذبح لغير الله)، وقوله: (من مات وهو يدعو لله ندًا دخل النار).

الأمر الذي يفسّر جملة: (ولا يشركوا به شيئًا) الواردة في الآية والحديث، وأنها "جملة حالية والتقدير: يعبدونه في حال عدم الإشراك به بالفعل؛ لا بمجرد القول، بدليل ما جاء في

السؤال: (فما حق العباد إذا فعلوا ذلك؟)، فعبر بالفعل ولم يعبر بالقول" على حدّ ما أفاده ابن حجر وساق له قول ابن حبان: "عبادة الله: إقرار باللسان وتصديق بالقلب وعمل بالجوارح.. وأنه إنما عطفها على كلمة التوحيد لأنها تمام التوحيد، والحكمة في عطفه على العبادة أن بعض الكفرة كانوا يدّعون أنهم يعبدون الله ولكنهم كانوا يعبدون آلهة أخرى، فاشترط نفي ذلك".

ومعلوم بالضرورة أن العبرة في قواعد الشرع بعموم اللفظ لا بخصوص السبب، لكون ما يجري في دنيا الناس في زماننا من لجوء لغير الله وتضرع ودعاء وطلب ورجاء للمقبورين هو من جنس عبادة غير الله إن لم يكن هُو هو، ولا أدل على ذلك مما وقع فيه قوم نوح عليه السلام، وقد قصه الله في السورة المسماة باسمه.

وعليه فإنه يتوجب على الثقلين أن يعبدوا الله بشرعه الذي أنزله في كتابه وأرسل به نبيه، بعد أن يخصُّوه وحده بأفعال العبادة من صلاة وصوم ودعاء ونذر وذبح وخوف ورجاء ومحبة، إلى آخر ذلك مما فيه طاعته، بحيث يكون ذلك كله لله وحده وبحيث لو نقص منه شيء صار تحت المشيئة، وهذا مراد قوله تعالى: «الذين آمنوا ولم يلبسوا إيمانهم بظلم أولئك لهم الأمن وهم مهتدون» (الأنعام:٨٢).

فالعبادة هي باختصار: (اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال والأفعال الظاهرة منها والباطنة)، هي: (الصدق في التوحيد المتضمن الأمن والهداية ومحي الذنوب ولو كانت كقراب الأرض خطايا)، هي: (عمل الطاعات واجتناب المعاصي)، هي: الدين والإسلام «إن الدين عند الله الإسلام» (آل عمران:١٩)، هي: الوحي والهدى «ولقد جاءهم من ربهم الهدى» (النجم:٢٣)، هي: البرُّ والتقوى «ولكن البر من اتقى» (البقرة:١٨٩)، هي: (طريق الجنة وسبيل السعادة وصراط المُنعم عليهم من الرسل وأتباعهم).

وهي التي تسمى: إسلامًا، ودينًا، وهدى، وإيمانًا، وتقوى، وبرًا.. وهي: التي لأجلها خلق الله الخلق ليخصوه بها، وأنزل الكتب لتحثهم عليها، وأرسل الرسل لتأمرهم بها، وذلك قوله: «وما أمروا إلا ليعبدوا الله مخلصين له الدين» (البينة:٥).. هذا هو حق الله على عباده وكثيرٌ من يُفرّط فيه.

٢) حق العباد على الله.. وأنى يتأتى وهو المتفضل عليهم ولا آمر فوقه ولا مُلزم له؟:

وأما حقّ العباد على الله إذا هم قاموا بتوحيده وأدوا حقّه، ولم يشركوا معه شيئًا على النحو السالف الذكر: أن يُدخلهم الجنة، وأن يُنجيهم من النار مصداقًا لقوله: «وعد الله المؤمنين والمؤمنات جنات تجري من تحتها الأنهار» (التوبة:٧٢). وقوله: «إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات أولئك هم خير البرية. جزاؤهم عند ربهم جنات عدن تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها أبدًا» (البينة:٧-٨).

وإجابة عن سؤال، ما نعلمه: هو أن لله على عباده حقًا لأنه خالقهم ورازقهم وهاديهم إليه وموفقهم لطاعته، فكيف بالعباد أن يكون لهم على الله حق، ولا آمر فوقه؟: يقول البيضاوي في (تحفة الأبرار): "الحق الثابت: تحقق العبادة على العباد قضية أمره المحتوم، وتحقق الثواب على الله مقتضى وعده المُصدّق".. ويقول الطيبي: "وحق الله: بمعنى الواجب واللازم.. وحق العباد على الله: ما وعدهم به، ومن صفة وعده: أن يكون واجب الإنجاز، فهو حق بوعده الحق" يعني: الذي أحقه تعالى على نفسه.

ويقول ابن حجر: "الحق كل موجود متحقق أو ما سيوجد لا محالة، ويقال للكلام الصدق: حق، لأن وقوعه متحقق لا تردد فيه، وكذا الحق المستحق على الغير إذا كان لا تردد فيه.. قال القرطبي: حق العباد على الله ما وعدهم به من الثواب والجزاء، فحُق ذلك ووجب بحكم وعده الصدق وقوله الحق الذي لا يجوز عليه الكذب في الخبر ولا الخلف في الوعد، فالله لا يجب عليه شيء بحكم الأمر، إذ لا آمر فوقه، ولا حكم للعقل لأنه كاشف لا موجب".

وفي معنى ما سبق يقول ابن تيمية رحمه الله في مجموع الفتاوى ١/٢١٣- ٢١٩: "حق العباد على الله معناه: أنه متحقق لا محالة، لأنه قد وعدهم ذلك جزاء على توحيده، ووعده حق «إن الله لا يخلف الميعاد»".. مع الوضع في الاعتبار وعدم إغفال أن "كون المطيع يستحق الجزاء، هو: استحقاق إنعام وفضل، وليس هو استحقاق مقابلة كما يستحق المخلوق على المخلوق، فمن الناس من يقول: لا معنى للاستحقاق إلا أنه أخبر بذلك ووعده صدق كما دل عليه قوله تعالى: «وكان حقًا علينا نصر المؤمنين» (الروم:٤٧)، وأكثر الناس يثبتون استحقاقًا زائدًا على هذا، ولكن أهل السنة يقولون: هو الذي كتب على نفسه الرحمة، وأوجب هذا الحق على نفسه ولم يوجبه عليه مخلوق".

٣) ارتباط الحقين بكلمة التوحيد:

وكما هو ملاحظ للعيان "فلقد بيّن النبي في حديثه لمعاذ حقين اثنين، وكلاهما مرتبط بكلمة التوحيد.

الأول: حق الله على العباد، وهو أن يوحدوه سبحانه ولا يشركوا به شيئًا، ذلك أن التوحيد هو أول وأعظم واجب على العباد، وهو أعظم المأمورات التي أمر الله بها، وما منْ أمة قبله صلى الله عليه وسلم إلا وبعث الله فيها رسولاً، وكلهم ومُتّبعوهم بإحسان متفقون على عبادة الله وحده وعدم الإشراك به.

ومن هنا ساغ أن يجعل الله التوحيد شرطًا في دخول الجنة ومانعًا من الخلود في النار، يقول تعالى: «إنه من يشرك بالله فقد حرم الله عليه الجنة ومأواه النار وما للظالمين من أنصار» (المائدة:٧٢)، وساغ للنبي أن يبين لمعاذ أن (حق الله على العباد: أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئًا)، كون (توحيد الألوهية أو العبادة)، هو منشأ وأساس اتباع جميع أوامر الله واجتناب جميع نواهيه.

ومن هنا أيضًا جاء قول معاذ: (يا رسول الله، أفلا أبشر الناس بهذا العلم؟)، وقوله عليه السلام: (لا تُبشرهم فيتّكلوا) يعني: لا يتّكلوا على مجرد التوحيد ويقعوا في المعاصي، ثم إن معاذًا بيّن ذلك في آخر حياته تحرجًا من الإثم.

وكان النبي قد حذّر أمته من الاتكال على مجرد النطق بالشهادة وعدم العمل بها، في أحاديث جمة؛ وذلك في نحو قوله: (أُمرْتُ أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأنّ محمدًا رسول الله، ويُقيموا الصلاة، ويُؤتوا الزكاة، فإذا فعلوا ذلك عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحقّ الإسلام)، فالطاعات كلها من حقّ الإسلام، وترك المعاصي من حقّ الإسلام.

ولهذا لما ارتدّ مَن ارتدّ من العرب وامتنعوا من أداء الزكاة قاتلهم الصديق وقال للممتنعين عن أدائها: (إنّ الزكاة من حقّ لا إله إلا الله، والله لو منعوني عناقًا- وفي لفظ: عقالاً- كانوا يُؤدُّونه إلى رسول الله لقاتَلْتُهم على منعه)، فقاتلهم هو والصحابة حتى خضعوا للحقّ، ودخلوا في دين الله، وأدّوا الزكاة، والتزموا بأمر الله.

وأما الحق الثاني؛ فهو: حق العباد على الله؛ وهو: أن لا يعذب من يوحده ولا يشرك به شيئًا، يقول الشيخ ابن عثيمين رحمه الله: "قوله: (..وحق العباد على الله ألا يعذب من لا يشرك به شيئًا)، يعني: أن لا يعذب من عبده وهو لا يشرك به شيئًا، لأن نفي الشرك يدل على الإخلاص والتوحيد، ولا إخلاص وتوحيد إلا بعبادة".

على أن ما أحقه الله على نفسه هو تكرم منه سبحانه لأنه لا مُلْزم له، ولا موجب عليه، ومن المعلوم بالضرورة أن النجاة والجنة إنما هي بفضل الله ورحمته، كما جاء في حديث البخاري: (لن يُدخل أحدًا عملُه الجنة)، قالوا: ولا أنت يا رسول الله؟؛ قال: (ولا أنا، إلا أن يتغمدني الله بفضل ورحمة).. قال ابن حجر في جواب الجمع الحديث بين النفي في هذا الحديث والإثبات في آية «ادخلوا الجنة بما كنتم تعملون» (النَّحْل:٢٣): "أن المنفي في الحديث دخولها بالعمل المجرد عن القبول، والمثبت في الآية دخولها بالعمل المُتقبَل، والقبول إنما يحصل برحمة الله، ومن ثم فلن يحصل الدخول إلا برحمة الله"..

والحمد لله رب العالمين.

صدقة يحبُّها اللّه ورسوله

إعداد: الشيخ عبده أحمد الأقرع

الحمد لله وكفى وسلام على عباده الذين اصطفى.

أما بعد: فإن دين الإسلام دينه محبة وألفة وتعاون وإخاء، وصلاح وإصلاح، ألّف الإسلام بين قلوب المؤمنين، وأصلح ذات بينهم، وجمع كلمتهم على الحق والهدى، فاجتمعت بالإسلام القلوب المتنافرة والنفوس المتعادية وأصبحوا متآخين، بل أصبح مثلهم مثل الجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالحمى والسهر.

وهذه الأخوة الإيمانية والمحبةَ الدّينية جاء الإسلام بالتأكيد على توثيقها، والحث على رعايتها والعناية بها، والبعد عن أسباب ضعفها وزوالها، ولهذا جاءت النصوص الكثيرة في الحث على التآلف والإخاء والمحبة والتواد، والبعد عن الشّحناء والبغضاء، والتقاطع والتهاجر والتدابر.

وبيّن رسول الله صلى الله عليه وسلم عظيم خطورة ذلك، فقال صلى الله عليه وسلم: «تعرض الأعمال في كل اثنين وخميس، فيغفر الله لكل امرئ لا يشرك بالله شيئًا، إلا امرأ كانت بينه وبين أخيه شحناء؟ فيقول: اتركوا هذين حتى يصطلحا» (مسلم:٢٥٦٥).

وقال صلى الله عليه وسلم: «لا يحل لمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاث، فمن هجر فوق ثلاث فمات دخل النار» (صحيح الجامع: ١٧٠٩).

وقد أخبر صلى الله عليه وسلم أنه الهجر إما بسبب الشيطان، وإما بسبب الذنوب؛ فقال صلى الله عليه وسلم: «إن الشيطان قد يئس أن يعبده المصلون في جزيرة العرب، ولكن في التحريش بينهم» (مسلم: ٢٨١٢).

وإما بسبب الذنوب: فقال صلى الله ليه وسلم: «ما توادَّ اثنان في الله عز وجل، أو في الإسلام، فيُفرّق بينهما إلا ذنب يحدثه أحدهما» (الصحيحة رقم: ٦٣٧)؛ فتقع على إثر ذلك تقاطع وتدابر، وتهاجر وتنافر، فيحتاج الأمر حينئذ إلى دخول المصلحين لرأب الصدع، ولمّ الشمل، أو الإصلاح بين المتخاصمين، وهذا الإصلاح بين النّاس يُعدُ في الشريعة الإسلامية خُلقًا كريمًا رفيعًا، لا ينهض به إلا أصحاب القلوب الرحيمة والنصح والإحسان.

وقد جاءت شريعة الإسلام في هذا المقام بحث المسلمين على إصلاح ذات بينهم لتبقى القلوب المؤمنة صافية متوادة متحابة قال الله عزَ وجل: «فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ» (الأنفال: ١). قال ابن عباس رضي الله عنهما: "هذا تخريج من الله على المؤمنين أن يتقوا الله، ويصلحوا ذات بينهم". (البخاري في الأدب المفرد: ٣٩٢).

وقال عز وجل: «إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ» (الحجرات: ١٠).

والصلحُ خيرٌ تهب به على القلوب المتجافية رياح الإنس ونسمات الندى، صلح تسكن به النفوس ويتلاشى به النزاع الصلح نهج شرعي تصان به الناس وتحفظ به المجتمعات من التفكك والاختلاف.

بالصلح تستجلب المودات، وتعمر البيوتات، وبث الأمن في الجنبات.. ومن ثمَ يتفرغ الرجال للأعمال الصالحة، يتفرغون للبناء والإعمار بدلاً من إفناء الشهور والسنوات في المنازعات، والكيد في الخصومات وإراقة الدماء، وتبديل الأموال، و إزعاج الأهل والسلطات.

إصلاح في نظام الأسرة وبيت الزوجية:

قال الله عز وجل: « وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَابْعَثُوا حَكَمًا مِنْ أَهْلِهِ وَحَكَمًا مِنْ أَهْلِهَا إِنْ يُرِيدَا إِصْلَاحًا يُوَفِّقِ اللَّهُ بَيْنَهُمَا » (النساء: ٣٥).

إصلاح بين الأفراد:

قال تعالى: « وَلَا تَجْعَلُوا اللَّهَ عُرْضَةً لِأَيْمَانِكُمْ أَنْ تَبَرُّوا وَتَتَّقُوا وَتُصْلِحُوا بَيْنَ النَّاسِ » (البقرة: ٢٢٤).

إصلاح يعدل بين اثنين، ويجمع بين متهاجرين، ويقرَبُ بين متظالمين يُقادان إلى صلح لا يحل حراما، ولا يحرم حلالا.

إصلاح بين أصحاب الحقوق في الوصايا والأوقاف:

قال تعالى: « فمَنْ خَاف من مُوص جَنفً أوْ إثمًا فأصْلح بيْنهُمْ فلا إثْم عليْه إنَ اللّه غفُورٌ رَحيمُ » (البقرة:).

ووعد سبحانه وتعالى من أصلح بين النَاس إيمانًا واحتسابًا أن يُؤتيهُ أجرًا عظيمًا.

فقال تعالى: « لَا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِنْ نَجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا » (النساء: ١١٤).

والإصلاح بين الناس وظيفة المرسلين لا يقومُ بها إلا أولئك الذين أطاعوا ربَهم، وشرُفت نُفوسُهم، وصفتْ أرْواحُهُمْ، يَقومُون به لأنهم يُحبُون الخيْر والهدُوء ويكرهُون الشَر حتَى عنْدَ غيْرهم من النَاس، ويمْقتُون الخلاف حتَى عنْدَ غيْرهم ويَجدُون في إحباط كيْد الخائنين. ولقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يُصلح بنفسه بين المتخاصمين، فعنْ سهْل بْن سعْد رضي الله عنه أنَ أهْل قُباء اقْتتلوا حتَى تراموْا بالحجارة، فأخْبر رسُول الله صلى الله عليه وسلم بذلك فقال: «اذْهبُوا بنا نُصْلحُ بيْنهُمْ». (صحيح البخاري: ٢٦٩٣).

وعنْ عمْرة بنْت عبْد الرَحْمن قالت: سمعْتُ عائشة تقُول: سمع رَسُول الله صلى الله عليه وسلم صوْت خُصُوم بالْباب عالية أصْواتُهُما وإذا أحدُهُما يسْتوْضعُ الآخر ويسْترْفقُهُ في شيْء وهُو يقُول: والله لا أفْعل. فخرج عليْهما رسُولُ الله فقال: أيْن المُتألي على الله لا يفْعل المعْرُوف». فقال: أنا يا رسُول الله، فلهُ أيُ ذلك أحبَ (متفق عليه).

معنى المتألي: الحالف. معنى يستوضعهُ: يسْألُه أنْ يضع عنْه بعْض ديْنه.

«ويسْترْفقُهُ» يسْألُه الرفْق.

فعنْدما رأى النَبيَ صلى الله عليه وسلم يسْتنْكرُ عملهُ عدل عنْ رأيه واسْتجاب لفعْل الخيْر وقدْ قامتْ في نفْسه دوافعُهُ إرْضاء الله ولرسُوله.

والشَاهدُ منْ ذلك خُرُوجُهُ صلى الله عليه وسلم للإصْلاح بيْنهُما.

وكان صلى الله عليه وسلم يُرغبُ في إصْلاح ذات البيْن ويحُثُ عليْه: فعنْ أبي هريْرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «كلُ سُلامى من النَاس عليْه صدقة كل يوْم تطْلعُ فيه الشَمْسُ. يعْدلُ بيْن الاثْنيْن صدقة، ويُعينُ الرَجُل على دابَته، فيحْملُ عليْها، أوْ يرْفعُ عليْها متاعهُ صدقة، والكلمةُ الطَيبةُ صدقة. وكُلُ خُطْوة يخْطُوها إلى الصَلاة صدقة، ويُميطُ الأذى عن الطَريق صدقة» (متفق عليه).

وبيَن صلى الله عليه وسلم أن أفضل الصدقات الإصلاح بين النَاس:

عن أبي الدَرْداء قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ألا أُخْبرُكُمْ بأفْضل منْ درجة الصيام والصَلاة والصَدقة». قالوا: بلى يا رسُول الله. قال إصْلاحُ ذات البيْن فإن فسادُ ذات البيْن في الحالقة». صحيح الترغيب: (٤).

فبيَن صلى الله عليه وسلم أن درجة المُصلح بين النَاس أفضل من درجة الصائمين والمصلين والمتصدقين. وعن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما قال: قال رسول الله: «أفضل الصدقة

إصلاحُ ذاتِ البَيْنِ». صحيح الترغيب: (٢٨١٧).

وعن أنس رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لأبي أيوب: ألا أدلك على تجارة؟ قال: بلى. قال: «صل بيْنَ النّاس إذا تفاسدوا، وقرّب بينهم إذا تباعدوا». صحيح الترغيب: (٢٨١٨).

عن أبي أيوب قال: قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم: «يا أبا أيوب ألا أدلك على صدقة يُحبُها الله ورسوله؟ تُصْلحُ بيْنَ النّاس إذا تباغضوا وتفاسدوا. صحيح الترغيب: (٢٨٢٠).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «ما عُمل شَيءٌ أفضلَ من الصلاة، وصلاح ذات البين، وخُلق جائز بيْنَ المسلمين». صحيح الترغيب: (٢٨١٦).

والإمامُ الأوزاعي رحمه الله يقول: «ما خطوة أحبُ إلى الله عز وجل من خطوة في إصلاح ذات البين».

ولقدْ بلغت العنايةُ بالصُلح بيْنَ المسلمين إلى أنّه رُخص فيه بالكذب رغم قباحته وشناعته وشدّة تحريمه؛ فعن أم كلثوم أنها سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «ليْسَ الكذّابُ الّذي يُصْلحُ بيْنَ النّاس، فيَنْمي خيْرًا، أوْ يقول خيْرًا». متفق عليه. ومعنى (فيَنْمي خيرًا): أي يبلغ خيرًا.

وفي رواية عنها رضي الله عنها قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لم يكْذبْ مَنْ نَمى بيْنَ اثْنيْنِ ليُصْلحَ».

بل ذهب التشريع إلى إباحة المسألة لمن تحمّل غرامة، تقديرًا لعظم الفعل، واعترافًا بأهمية الدّور؛ فعن قبيصة بن المخارق رضي الله عنه قال: تحمّلت حمالة (يعني: غرامة) فأتيتُ رسول الله صلى الله عليه وسلم أسأله فيها، فقال: «أقمْ حتّى تأتيَنا الصّدقةُ فنأمرَ لك بها». ثمّ قال: (يا قبيصة إنّ المسْألةَ لا تحلُ إلا لأحد ثلاثة: رَجُل تحمّل حمالةً فحلّتْ له المسْألةُ حتّى يُصيبَها ثمّ يُمْسك، ورَجُل أصابتْهُ جائحة اجْتاحتْ مالَهُ فحلّتْ لَهُ المسْألةُ حتّى يُصيبَ قوامًا منْ عيْش، ورَجُل أصابتْهُ فاقةٌ حتّى يقول ثلاثةٌ منْ ذوي الحجا منْ قوْمه لقدْ أصاب فلانا فاقةٌ فحلّتْ له المسْألةُ حتّى يُصيبَ قوامًا منْ عيْش ثمّ يُمْسكُ، فما سواهُنّ من المسْألة فسُحتٌ يأكلها صاحبُها سُحتا». مختصر مسلم (٥٦٨)، والإرواء (٦٨). وصحيح الجامع (٧٩٦٥).

فالدين الإسلامي الحنيف أوجب على العُقلاء من النّاس أنْ يتوسّطوا بيْنَ المتخاصميْن ويقومُوا بإصلاح ذات بيْنهم، ويُلزمُوا المُعتدي أنْ يقف عنْد حدّه درءًا للمفاسد المُترتّبة على الخلاف والنّزاع ومنعًا للفوْضى والخصام، وأقومُ الوسائل التي تصْفو بها القلوبُ منْ أحْقادها.

وللإصلاح فقه ومسالك دلت عليها نصوص الشرع وسار عليها المصلحون المخلصون.

إنّ من فقه الإصلاح صلاح النية، وابتغاء مرضاة الله، وتجنّب الأهواء الشخصية والمنافع الدنيوية. إذا تحققَ الإخلاصُ حلّ التوفيق وجرى التوافقُ وأنزل الثبات في الأمر والعزيمة على الرشد.

أما من قصد بإصلاحه الترؤس والرياء وارتفاع الذّكر والاستعلاء فبعيدٌ أن ينال ثواب الآخرة، وحريٌ ألا يُحالف التوفيق مسعاه.

قال الله تعالى: «وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا» (النساء: ١١٤).

ومن فقه الإصلاح سلوك مسلك السر والنجوى. فلئن كان كثير من النجوى مذمومًا فإن ما كان من صدقة أو معروف أو إصلاح بين الناس فهو محمود مستثنى.

قال الله تعالى: «لَّا خَيْرَ فِى كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَىٰهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَٰحٍۭ بَيْنَ ٱلنَّاسِ» (النساء: ١١٤).

فلعل فشل كثير من مساعي الصلح ولجانه فشو الأحاديث، وتسرُبُ الأخبار.

وعلى المصلح أن يخبر بما علمه من الخير ويسكت عما علمه من الشر.

اللهم ألف بين قلوبنا، وأصلح ذات بيننا، واهدنا سبل السلام.

من بلاغة القرآن الكريم

اختلاف القراءات وتنوعها

إعداد **د. عبد الرحمن فودة**
أستاذ البلاغة جامعة القاهرة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على رسول الله المبعوث رحمة للعالمين، وعلى آله وصحبه أجمعين.

وبعدُ: فقد بيّنّا في المقال السابق الفروق بين روايتي عاصم برواية حفص عنه، وقراءة نافع برواية ورش عنه من حيث الصِّيَغ. ونبين في هذا المقال بحول الله وتوفيقه الفروق بين الروايتين من حيث البناء النحوي:

(١) « كُلُّ ذَٰلِكَ كَانَ سَيِّئُهُۥ عِندَ رَبِّكَ مَكْرُوهًا » (الإسراء: ٣٨).

في لفظة (سيئه) قراءتان: الأولى قراءة حفص المشهورة (سيئه) بضم الهمزة والهاء والتذكير وعدم التنوين (وهي قراءة الكوفيين وابن عامر والشامي). والثانية (سيئة) بفتح الهمزة وبتاء التأنيث المفتوحة المنونة. وهي رواية (ورش) عن نافع.

التوجيه البلاغي علىِ قراءة (سيئه) باعتبار (سيئه) اسم كان مضافا إلى الضمير الراجع إلى قوله (كل ذلك) والمشار إليه ما ذُكرَ من النواهي والأوامـر السابقة « وَلَا تَقْتُلُوٓا أَوْلَٰدَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَٰقٍ نَّحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ إِنَّ قَتْلَهُمْ كَانَ خِطْـًٔا كَبِيرًا ﴿٣١﴾ وَلَا تَقْرَبُوا ٱلزِّنَىٰٓ إِنَّهُۥ كَانَ فَٰحِشَةً وَسَآءَ سَبِيلًا ﴿٣٢﴾ وَلَا تَقْتُلُوا ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَمَن قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لِوَلِيِّهِۦ سُلْطَٰنًا فَلَا يُسْرِف فِّى ٱلْقَتْلِ إِنَّهُۥ كَانَ مَنصُورًا ﴿٣٣﴾ وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ ٱلْيَتِيمِ إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُۥ وَأَوْفُوا بِٱلْعَهْدِ إِنَّ ٱلْعَهْدَ كَانَ مَسْـُٔولًا ﴿٣٤﴾ وَأَوْفُوا ٱلْكَيْلَ إِذَا كِلْتُمْ وَزِنُوا بِٱلْقِسْطَاسِ ٱلْمُسْتَقِيمِ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴿٣٥﴾ وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُولَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا ﴿٣٦﴾ وَلَا تَمْشِ فِى ٱلْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّكَ لَن تَخْرِقَ ٱلْأَرْضَ وَلَن تَبْلُغَ ٱلْجِبَالَ طُولًا ﴿٣٧﴾ كُلُّ ذَٰلِكَ كَانَ سَيِّئُهُۥ عِندَ رَبِّكَ مَكْرُوهًا » (الإسراء: ٣١- ٣٨).

فأخبر أن (سيئه) أي المنهي عنه كان عند ربك مكروهًا. فالمعنى أن كل ما ذُكر من الخصال القبيحة الواردة في الآيات السابقة المتضمنة الأوامر والنواهي كان سيئه -أي قُبْحه- عند ربك مكروهًا؛ أي مبغوضًا ومنهيًا عنه.

فالمعنى إذن هو الإخبار بأن سيئَ هذه الخصال مكروه عند الله تعالى.

أما قراءة التأنيث مع التنوين (سيئة) فهو على أن لفظة (سيئة) وقعت خبرًا للفعل (كان) أما اسمها فضمير مستتر يعود على (كل ذلك). ويكون اسم الإشارة عائدًا على ما ذُكرَ من النواهي السابقة (أي: كل تلك النواهي كان سيئة عند ربك مكروهًا)، وتقديم عند ربك المتعلق بـ(مكروهًا) و(مكروهًا) خبر ثان. فكأن المعنى كل ما ذُكر من النواهي السابقة.. كان سيئة وكان مكروهًا عند ربك مستوجبًا للعقوبة على فعله.

قال الزمخشري في «الكشاف»: إن قلت: كيف قال: (سيئة) مع قوله (مكروهًا)؟

قلت: السيئة في حكم الأسماء بمنزلة الذنب والاسم زال عنه حكم الصفات فلا اعتبار بتأنيثه.

وقرأ أهل الكوفة وابن عامر (سيئه) مضافًا غير منون. واختاره الزجاج.

وقال: كان أبو عمرو لا يقرأ (سيئه) وهذا غلط؛ لأن في هذه الأقاصيص، سيئًا وغير سيئ، وذلك أن فيها « وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ﴿٢٣﴾ وَٱخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحْمَةِ » (الإسراء: ٢٣- ٢٤) وفيها (وآت ذا القربى حقه والمسكين وابن السبيل)،

وفيها (وأوفوا بالعهد) وفيها (ولا تقربوا مال اليتيم إلا بالتي هي أحسن).

قال: ففيهما جرى في هذه الآيات والأخبار سيئ وحسن، فـ (سيئه) أحسن من (سيئة).

قال الرسعني: ومن العجب قول الزجاج هذا غلط. وهي قراءة أهل الحجاز وأهل البصرة بناء على ما ذكره من التعليل مع أنه يعلم وجه القراءة وصحة تعليلها، وأن الإشارة بقوله: (كل ذلك كان سيئه) إلى ما تقدم ذكره مما نهى الله عنه.

قال بعض نحاة أهل البصرة على القراءة الراجحة عند الزجاج (كل ذلك) مبتدأ أي كل هذه الأشياء سيئه مكروه، فـ (سيئه) ترتفع بـ (كان) و(عند ربك) خبر. على تقدير: سيئه ثابتًا عند ربك مكروهًا. فيكون (مكروهًا) على هذا حالاً من الضمير في الظرف. وإن شئت كان الظرف حشوًا ومكروهًا هو الخبر. وهذا أحسن من الأول.

ومن قرأ (سيئة) بالتنوين ففي (كان) ضمير يعود إلى (كل) سيئة خبره، ومكروهًا صفة لـ سيئة، ولم يقل مكروهة؛ لأن التأنيث غير حقيقي، وإن شئت كان على هذا (مكروهًا) خبرًا آخر لكان، وذكره لأن ضمير (كل) مذكر، ويكون (عند ربك) من صلة (مكروهًا) وإن شئت كان حشوًا.

فكأن الفارق بين القراءتين أن الأولى (سيئة) شملت في قوله (كل ذلك) أي كل المذكور من الأوامر والنواهي ثم خص منه السيئ أي المنهي فقط.

أما القراءة الثانية (سيئة) فكأنها خصت المنهي فقط دون أن يشمل الأوامر. فالملمح البلاغي هنا هو إفادة العموم في قراءة (سيئه) وإفادة الخصوص أو التخصيص في القراءة الأخرى (سيئة). والله أعلم.

(٢) ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَا تُسْأَلُ عَنْ أَصْحَابِ الْجَحِيمِ﴾ (البقرة: ١١٩).

القراءة الأولى قراءة الجمهور بالبناء للمفعول (بضم التاء ورفع اللام) بعد (لا) النافية.

والقراءة الأخرى بفتح التاء وسكون اللام مع الجزم لأن (لا) ناهية.

وقراءة البناء للمفعول تحتمل أن تكون الجملة في محل عطف على ما قبلها، أو تكون واو الحال فيكون المعنى (أرسلناك بالحق بشيرًا ونذيرًا وغير مسئول عن أصحاب الجحيم لعدم إيمانهم بما أرسلت به إليهم).

وتحتمل أن يكون الكلام مستأنفًا؛ أي أنك لا تُسأل عن أصحاب الجحيم فما عليك إلا أن تُبلغ ما نزل إليك من ربك؛ إذ ليس عليك هداهم ولكن الله يهدي من يشاء.

وفائدة هذا تسلية النبي صلى الله عليه وسلم لما يجد من عناد واستكبار هؤلاء الكافرين فكأن الآيات تطمئنه صلى الله عليه وسلم أنه غير مسئول عن عدم إيمانهم فلا يحزنه كفرهم، وأنه لن يُسأل أحد عن كفر أحد أو ذنبه؛ إذ لا تزر وازرة وزر أخرى. وعلى هذا فالقراءة إخبار أو الجملة خبرية أي والشأن أنك لا تسأل عن أصحاب الجحيم.

أما على قراءة (ولا تسأل) فهي على سبيل النهي؛ الخطاب موجه للنبي صلى الله عليه وسلم، فلا تسأل أنت يا محمد عن هؤلاء، والنهي له أغراض، منها التهويل والتفظيع؛ فكأن الآية تبين للنبي صلى الله عليه وسلم مآل هؤلاء المشركين وأنهم سينالون من العذاب أو العقاب ما الله به عليم، ومن ثم فلا تسأل عن كُنه هذا العذاب، فإنه عذاب عظيم مهول. وهذا من الأساليب المعهودة عند العرب حين يقولون: أما فلان فلا تسأل عما حدث له. من باب التفظيع والتهويل لما أصاب المذكور.

وربما كان المعنى على ظاهره أو حقيقته دون مجازه، فإن مما ورد في أسباب النزول أنه صلى الله عليه وسلم قال: ليت شعري ما فعل أبواي؟ فنزل النهي عن السؤال عنهما ولا تسأل.

وربما يتساءل أحدهم فما الفرق بين النفي والنهي إذن؟ فتكون الإجابة أن النفي يبرئ النبي صلى الله عليه وسلم من المساءلة عن أصحاب الجحيم طالما أنه أدى ما كُلف به من إبلاغ الرسالة. والنهي يبين إشفاقه صلى الله عليه وسلم على من بعث إليهم وكفروا به، فيسأل عنهم وعن مصيرهم، كما يفيد النهي أن العذاب الذي سيحيق بهؤلاء الكفار عذاب عظيم مهول لا تسأل عنه فإنه شديد. ومن هوله لا تسل عنه أي لن يبلغه تصورك.

«وجه قراءة الجزم أنه مبني للفاعل وجزم بـ لا الناهية، إما حقيقة فيكون جوابًا لقوله: (ليت شعري ما فعل بأبوي) أو مجازًا لتفخيم القصة كقولك لمن قال: كيف فلان؟ لا تسأل عما جرى له، أي حل به أمر عظيم غير محصور، فيتضمن الجواب».

فسبحان ذي الجلال، وجل في علاه.

تحذير مَن ينطق بأن البلاء مُوكَّل بالمنطق

إعداد/ **محمد عبد المقصود صالح**

إمام وخطيب بالأوقاف

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، أما بعد:

فقد أخرج مسلم في صحيحه من حديث أنس، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، عَادَ رَجُلًا مِنَ الْمُسْلِمِينَ قَدْ خَفَتَ فَصَارَ مِثْلَ الْفَرْخِ، فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «هَلْ كُنْتَ تَدْعُو بِشَيْءٍ أَوْ تَسْأَلُهُ إِيَّاهُ؟» قَالَ: نَعَمْ، كُنْتُ أَقُولُ: اللَّهُمَّ مَا كُنْتَ مُعَاقِبِي بِهِ فِي الْآخِرَةِ، فَعَجِّلْهُ لِي فِي الدُّنْيَا، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "سُبْحَانَ اللَّهِ لَا تُطِيقُهُ- أَوْ لَا تَسْتَطِيعُهُ- أَفَلَا قُلْتَ: اللَّهُمَّ آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً، وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ" قَالَ: فَدَعَا اللَّهَ لَهُ، فَشَفَاهُ. أخرجه مسلم (٢٦٨٨).

هذا الحديث يقوم على عدة فوائد؛ منها:

١- أهمية نعمة اللسان

إن من أعظم النعم التي أنعم الله بها على الإنسان نعمة اللسان، وهي المنَّة التي امتن الله بتعليمها لبني الإنسان يقول سبحانه: «خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ (٣) عَلَّمَهُ ٱلْبَيَانَ» (الرحمن: ٣، ٤)، وهي الوسيلة التي يعبَّر بها عما يكون في الوجدان، فما قيمة الجسد الطويل العريض، وهو بدونها عليل مريض بلا كيان.

ولذلك لما بعث الله موسى -عليه السلام- وأمره بالذهاب إلى فرعون لدعوته إلى طريق الواحد الديان، وسلوك الطاعة والالتزام، كان سؤال موسى لربه أن يُوفقه في الكلام، وأن يُسدده، وأن تصل دعوته إلى الأفهام، وأن يعقلها الفئام، فتختم دعوته بالخير والتمام يقول تعالى: «ٱذْهَبْ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ (٢٤) قَالَ رَبِّ ٱشْرَحْ لِى صَدْرِى (٢٥) وَيَسِّرْ لِىٓ أَمْرِى (٢٦) وَٱحْلُلْ عُقْدَةً مِّن لِّسَانِى (٢٧) يَفْقَهُوا۟ قَوْلِى» (طه: ٢٤- ٢٨).

ولم يكتف الأمر عند ذلك؛ بل طلب من الله أن يرسل معه أخاه هارون؛ لأن هارون فصيح اللسان، جزيل البيان، يأتمر بأمره بلا تردد ولا عصيان؛ يقول تعالى: «وَأَخِى هَٰرُونُ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّى لِسَانًا فَأَرْسِلْهُ مَعِىَ رِدْءًا يُصَدِّقُنِىٓ ۖ إِنِّىٓ أَخَافُ أَن يُكَذِّبُونِ» (القصص: ٣٤).

فنعمة اللسان هي الميزان الذي يوزن به كل إنسان، فإما أن يُشار إليه بالبنان، وأما أن يوضع في كفة النقصان.

ونعمة اللسان سلاح ذو حدين وصنوان يفترقان، فإما أن تستعمل في الخير والبرهان، وإما أن تستعمل في الشر والعصيان، فيكون في الدنيا الشقاء والخذلان، وفي الآخرة الضلال والخسران.

فينبغي للإنسان أن يُعظم حقها بالعرفان، ويستوجب شكرها بلا نكران، ولا يجحد فضلها بسهو أو نسيان، وأن يستعملها فيما سُخرت له، وأن يصونها عن اللغط والغلط، وأن يهذبها عن الخبط والخلط والهذيان.

٢- عدم تمني البلاء

العاقل الحصيف إذا عرف قيمة هذه النعمة؛ فإنه يجب عليه ألا يسأل الله البلاء بسببها، ولا يحرم نفسه من الخير بسوء استغلالها، فربما نزلت عليه البلية، وحلت عليه المصيبة

بسبب كلمة خرجت من لسانه، لا يلتفت إليها، ولا يعبأ بها، ولا يفتأ في التفكر فيها، لا يلقى لها بالا، فتجلب عليه شرًا ووبالا.

ولما رأى النبي صلى الله عليه وسلم الرجل المريض ما أصابه من جَهْد ونصب، ووصب وتعب سأله عن حاله فأخبره أنه سأل الله البلاء، وطلب من الله الابتلاء فقال: "اللهُمَّ ما كُنْتَ مُعاقِبي به في الآخرة، فعجِّله لي في الدُّنيا"؛ فأرشده النبي صلى الله عليه وسلم أنه لا يستطيعه، ولا يقوى على تحمُّله، ولا يقدر أن يصبر عليه.

ولذلك كان أبو بكر الصديق -رضي الله عنه- يقول:

احفظ لسانك أن تقول فتبتلى
إن البلاءَ مُوكَّلٌ بالمنطق

يقول الزمخشري: "هذا البيت يضرب في كلمة يتكلم بها الرجل فتكون باعثة للشر والبلاء. المستقصى في أمثال العرب (١/٣٠٥)، والأمثال والحكم، للماوردي (ص: ١٧٧)، والأمثال للهاشمي (١/٩١).

ولذلك: فإن المسلم إذا أراد أن يتكلم فليعرف متى يتكلم، وبماذا يتكلم، ومتى يسكت؛ لأنه يعلم عظم الكلمة وخطورتها عند الله، يقول تعالى: ﴿مَا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾ (ق: ١٨).

يقول الحسن البصري: يا ابن آدم، بُسطت لك صحيفة، ووكل بك ملكان كريمان يكتبان عملك، فاعمل ما شئت، فأكثر أو أقل. الصمت، لابن أبي الدنيا (ص: ٨٤).

وقال عبد الرحمن السلمي: من عيوب اللسان كثرة الكلام، وإنما يتولد ذلك من شيئين: أما طلبه رياسة يريد يري الناس علمه وفصاحته، أو قلة العلم بما يجلب عليه الكلام. عيوب النفس (ص: ١٦).

فالعاقل هو من يقود زمام لسانه، ويتعلم الصمت كما يتعلم الكلام؛ فإن مغبة الإفراط في ذنوب اللسان تؤول إلى مصير لا يتحمله الإنسان، فأمسك لسانك عن فضول الكلام، وارق به عن فتات الكلام، ولا تتكلم إلا إذا ندبت إلى الكلام، ولا تتكلم إلا فيما يعنيك، ولا تنطق إلا بما يفيدك، فمن خاف سلم، ومن ترك زمام لسانه خسر وندم.

يقول المناوي: "العبد في سلامة ما سكت، فإذا تكلم عرف ما عنده بمحنة النطق فيتعرض للخطر، والتحذير من سرعة النطق بغير تثبت خوف بلاء لا يطيق دفعه، وقد قيل اللسان ذنب الإنسان، وما من شيء أحق بسجن من اللسان. فيض القدير (٣/٢٢٢) بتصرف.

ولذلك قال الشاعر:

لا تنطقن بحادث فلربما
نطق اللسان بحادث فيكون

وقال آخر:

لا تمزحن بما كرهت فربما
ضرب المزاح عليك بالتحقيق

ولم يقف الأمر عند هذا الحد؛ بل ربما يتمنى المرء أمنية سوء فتنزل عليه البأساء والضراء بسببها، ويبتلى في ذلك بشرها وشؤمها.

يقول أبو عمرو الشيباني: "لا يتمنين أحد أمنية سوء، فإن البلاء موكل بالمنطق. معجم الأدباء، للحموي (٢/٦٢٦).

وقال ابن القيم: "فحفظ المنطق وتخير الأسماء من توفيق الله للعبد، وقد أمر النبي صلى الله عليه وسلم من تمنى أن يحسن أمنيته، ورأيت أخبار كثير من المتمنين أصابتهم أمانيهم أو بعضها. تحفة المودود (ص: ١٢٣-١٢٤) بتصرف.

وبهذا جاءت الآثار عن السلف الصالح توضح خطورة هذا الأمر، وألا يستهين به الإنسان لأنه قد يلحق به شر وضرر، ويوقعه في زلل وخطر، فينبغي للإنسان أن يكون معه على خوف وحذر.

يقول عبد الله بن مسعود: لا تستشرفوا البلية، فإنها مولعة بمن تشرف لها، إن البلاء مولع بالكلم، فاتبعوا ولا تبتدعوا فقد كفيتم. مكارم الأخلاق، للخرائطي (ص: ١٣٩).

وقال مالك: يقال إن البلاء موكل بالمنطق، ومن أكثر الكلام ومراجعة الناس ذهب بهاؤه. الجامع، لأبن أبي زيد القيرواني. (ص: ١٧٣).

وقال أبو عبيد الله كاتب المهديّ: كن على التماس الحظ بالسكوت أحرص منك على التماسه بالكلام؛ إن البلاء موكل بالمنطق. العقد الفريد، لابن عبدربه (٣٠٢/٢).

وقال سليمان بن داوود عليه السلام: الكلام من فضة، والصمت من ذهب، والبلاء موكل بالمنطق. بريقة محمودية، للخادمي الحنفي (١٣١/٣).

وقال إبراهيم النخعي: إني لأجد نفسي تحدثني بالشيء، فما يمنعني أن أتكلم به إلا مخافة أن ابتلي به. الصمت لابن أبي الدنيا (ص: ١٦٩).

٣- ضرورة الحرص على الفأل الحسن

من صفات المسلم الحق أنه لا يقنط عند المصيبة، ولا يجزع عند النقيصة، لا ييأس أبدًا، ولا يبتئس حزنًا وغمًّا، يقول تعالى: «إِنَّهُ لَا يَاْيْئَسُ مِن رَّوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ» (يوسف: ٨٧)، وقال أيضا: «وَمَن يَقْنَطُ مِن رَّحْمَةِ رَبِّهِ إِلَّا الضَّالُّونَ» (الحجر: ٥٦)؛ فعلى المرء أن ينظر إلى الأمور بعين التفاؤل، ولا يحوج نفسه إلى الذل والتساؤل، يفوض أمره إلى ربه في جميع المسائل، فينتج عن هذا الرضا بقضاء الله وقدره في جميع النوازل، والتسليم لأمره، والانخلاع عن كل ما سواه، ولا يرهق نفسه في تدبير أمره «أَلَا إِلَى اللَّهِ تَصِيرُ الْأُمُورُ» (الشورى: ٥٣)، فكل ما سوى الله زائل.

وجاءت النصوص النبوية التي تدعو الإنسان إلى التفاؤل، والبعد عن التطير والتشاؤم فمنها:

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لا طِيَرَةَ، وَخَيْرُهَا الفَأْلُ» قَالَ: وَمَا الفَأْلُ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: «الكَلِمَةُ الصَّالِحَةُ يَسْمَعُهَا أَحَدُكُمْ» أخرجه البخاري (٥٧٥٥)، ومسلم (٢٢٢٣).

ومعنى "لا طيرة": أي لا تشاؤم بالشيء، وهذا ينتج عن عدم الرضا به والسخط عليه، فأرشد النبي صلى الله عليه وسلم إلى الأخذ بالفأل الحسن، والقول اللين، والكلام الواضح البين الذي يجعل الإنسان يحسن الظن بالله، ولا يلتفت إلى مخلوق سواه.

كما قال الشاعر

تعلم أنه لا طير إلا
على متطير فهو الثبور

يقول الخطابي: والفرق بين الفأل والطيرة: أن الفأل مأخوذ من طريق حسن الظن بالله تعالى، والطيرة إنما هي من طريق الاتكال على شيء سواه، وكان صلى الله عليه وسلم يسأل عن اسم الأرض والجبل والإنسان، فإن كان حسنًا سُر به واستبشر، وإن كان سيئًا ساءه ذلك. التوضيح، لابن الملقن (٥٠٦/٢٧).

وقال الحليمي: "إنما مدح الفأل دون الطيرة؛ لأن التشاؤم سوء ظن بالله بغير سبب محقق، والتفاؤل حسن ظن به، والمؤمن مأمور بحسن الظن بالله على كل حال. التوشيح شرح الجامع الصحيح، للسيوطي (٣٥٤١/٨).

ولهذا أرشد النبي عليه الصلاة والسلام إلى ضرورة الأخذ بالفأل الحسن، وفسّره بقوله: «الكَلِمَةُ الصَّالِحَةُ يَسْمَعُهَا أَحَدُكُمْ».

- فالمسلم العاقل إذا عجز عن تقديم النفع لإخوانه، فلا يبخل عليهم بكلمة طيبة، أو ابتسامة صافية، فإن بعض الناس قد يكون عندهم من البلايا، وقد يكون عندهم من الرزايا يحب أن يسمع كلمة طيبة، قد تكون سببًا في كشف همّه، أو تخفيف كربه، أو جبران خاطره، ومن سار بين الناس جابرًا للخواطر أدركه لطف الله في جوف المخاطر.

-وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: سَمِعَ كَلِمَةً فَأَعْجَبَتْهُ فَقَالَ: «أَخَذْنَا فَأْلَكَ مِنْ فِيكَ». أخرجه أبو داود (٣٩١٧) وأحمد (٩٠٤٠) والبيهقي في الشعب (١١٢٦)، وصححه الألباني في الصحيحة (٧٢٦) وصحيح الجامع (٢٢٥).

يقول ابن بطال: "وكان النبي عليه السلام يستحب الاسم الحسن والفأل الصالح، وقد جعل الله في فطرة الناس محبة الكلمة

الطيبة والفأل الصالح والأنس به، كما جعل فيهم الارتياح للبشرى والمنظر الأنيق، وقد يمر الرجل بالماء الصافي فيعجبه وهو لا يشربه، وبالروضة المنثورة فتسره وهي لا تنفعه. شرح البخاري، لابن بطال (٩/٤٣٧).

-وعَنْ أَنَس بْنِ مَالِك: "أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ يُعْجِبُهُ إِذَا خَرَجَ لِحَاجَتِهِ أَنْ يَسْمَعَ: يَا رَاشِدُ، يَا نَجِيحُ. أخرجه الترمذي (١٦١٦)، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٤٩٧٧).

-وعَنْ أَبِي يَمَانٍ حُكَيِّ عَنِ الأَصْمَعِيِّ، أَنَّهُ قَالَ: سَأَلْتُ ابْنَ عَوْنٍ عَنِ الْفَأْلِ؟ قَالَ: هُوَ أَنْ يَكُونَ مَرِيضًا، فَيَسْمَعُ يَا سَالِمُ، أَوْ يَكُونُ طَالِبًا، فَيَسْمَعُ يَا وَاجِدُ. شرح السنة، للبغوي (١٢/١٧٦).

يقول أبو البقاء الدميري: "إنما أحب الفأل، لأن الإنسان إذا أمل فضل الله تعالى كان على خير، وإذا قطع رجاءه من الله تعالى كان على سوء، والطيرة فيها سوء ظن وتوقع البلاء. حياة الحيوان الكبرى (٢/١٣٥).

ومن أروع الأمثلة التي تدعو إلى التفاؤل ما فعله عبد المطلب مع حليمة السعدية.

"لما وقفت حليمة السعدية على عبد المطلب تسأله رضاع رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لها من أنت؟ قالت: أنا امرأة من بني سعد، قال: ما اسمك؟ قالت: حليمة، فضحك عبد المطلب وزجر وقال: بخ بخ سعد وحلم هاتان خلتان فيهما غنى الدهر، وعز الأبد. شرف المصطفى، للخركوشي (١/٣٧٤)، السيرة الحلبية، للحلبي (١/١٣١).

فتفاءل عبد المطلب باسمها وهي حليمة، وتفاءل بقبيلتها وهي بني سعد فدفع رسول الله إليها.

وكما أن العرب في الجاهلية كانوا يتطيرون ويتشاءمون، إلا أنهم في نفس الأمر كان عندهم نوع من التفاؤل.

-يقول ابن الكاتب: "ومما استعملت فيه العرب أيضاً التفاؤل تسميتهم أبنائهم أسدًا تفاؤلا بالشجاعة والنجدة والبسالة، وكلباً تفاؤلاً بالحراسة والمحافظة، وأشباه ذلك مما سموا به. ومما قلبوه عن معناه وسموه بضد ما يستحقه على سبيل التفاؤل. البرهان في وجوه البيان (ص: ١٠١).

حتى قال قائلهم:

وسميته يحيى ليحيا ولم يكن
إلى رد أمر الله فيه سبيل

وقال آخر:

لا يمنعنك من بغاء الخير تعقاد التمائم
ولا التشاؤم بالعطاس ولا التيمن بالمقاسم
ولقد غدوت وكنت لا أغد على واق وحاتم
فإذا الأشائم كالأيامن والأيامن كالأشائم
وكذاك لا خير ولا شر على أحد بدائم

-ومن الأمثلة أيضا ما حدث في صلح الحديبية من حديث المسور بن مخرمة "لَمَّا جَاءَ سُهَيْلُ بْنُ عَمْرٍو، قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَقَدْ سَهُلَ لَكُمْ مِنْ أَمْرِكُمْ» أخرجه البخاري (٢٧٣١).

يقول العيني: "تفاءل النبي، صلى الله عليه وسلم، باسم سهيل بن عمرو على أن أمرهم قد سهل لهم. عمدة القاري (١٤/١٢).

-ومن الأمثلة أيضا: ما جاء عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ: أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: غِفَارُ غَفَرَ اللهُ لَهَا وَأَسْلَمُ سَالَمَهَا اللهُ "أخرجه البخاري (١٠٠٦)، ومسلم (٦٧٩).

يقول ابن بطال: "وفي قوله صلى الله عليه وسلم "غِفَارُ غَفَرَ اللهُ لَهَا وَأَسْلَمُ سَالَمَهَا اللهُ" الدعاء للمؤمنين بالمغفرة، تفاءل لهما -صلى الله عليه وسلم- من أسمائهما فألا حسنا، وكان يعجبه الفأل الحسن. شرح البخاري لابن بطال (٣/٧).

وللحديث بقية في اللقاء القادم إن شاء الله جلا وعلا. وصلِّ اللهم وبارك على محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

الرجوع إلى الحق

إعداد **الشيخ حسين صادق**

رئيس فرع دمياط سابقاً

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله.. وبعد،

فإنه لا يستقيم حال إنسان إلا إذا وضع لنفسه ضابطًا يضبطه عندما يحيد عن جادة الصواب، فهو واقع في الخطأ والتقصير لا محالة، وقد بصّرنا ربنا جل وعلا بما علينا فعله عندما يكون هذا حالنا فقال تعالى: « وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَنْ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَىٰ مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ » (آل عمران ١٣٥)، وقال تعالى: « إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُمْ مُبْصِرُونَ » (الأعراف ٢٠١).

وكلما زكت نفس المرء، وعلا قدره كان من اليسير عليه أن يرجع إلى الحق إن بانَ له خطؤه. والنبي-صلى الله عليه وسلم- قال: "من حلف على يمين فرأى غيرها خيرًا منها فليُكفّر عن يمينه، وليأت الذي هو خير" رواه مسلم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

وهذا الذي صنعه الصديق أبو بكر-رضي الله عنه- مع مسطح بن أثاثة وهو من قرابته، وكان أبو بكر ينفق على مسطح لفقره؛ فلما تكلم مسطح في عائشة-رضي الله عنها-، وخاض في الإفك؛ قال أبو بكر: "والله لا أُنفق على مسطح شيئًا أبدًا بعد الذي قال لعائشة، فأنزل الله تعالى: « وَلَا يَأْتَلِ أُولُو الْفَضْلِ مِنْكُمْ وَالسَّعَةِ أَنْ يُؤْتُوا أُولِي الْقُرْبَىٰ وَالْمَسَاكِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلَا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ » (سورة النور: ٢٢)؛ قال أبو بكر-رضي الله عنه-: والله إني لأحبَّ أن يغفر الله لي، فكفَّر عن يمينه ورجع إلى النفقة على

مسطح، وقال: "والله لا أنزعها عنه أبدًا". ويُسطِّر الفاروق-رضي الله عنه- وصيته إلى أبي موسى الأشعري-رضي الله عنه-؛ لتحمل حكمه بالغة، ولتمثل منهاجًا لمن أراد أن يسير في الطريق (طريق الحق ولا يخطؤه) وجاء فيها: "لا يمنعك قضاء قضيته بالأمس راجعت فيه نفسك وهُديت فيه لرشدك أن ترجع فيه إلى الحق؛ فإن الحق قديم، والرجوع إلى الحق أولى من التمادي في الباطل".

وانظر إلى النموذج الرائع لما ينبغي أن يكون عليه العالم فقد حكى القاضي أبو بكر ابن العربي في كتابه أحكام القرآن (١٨٢/١) قال: أخبرني محمد بن قاسم العثماني غير مرة فقال: وصلت الفسطاط مرة فجئت مجلس الشيخ أبي الفضل الجوهري، وحضرت كلامه بين الناس فكان مما قال في أول مجلس جلست فيه: "أنَّ النبي صلى الله عليه وسلم طلّق وآلَى وظاهَر"؛ فلما خرج تبعته حتى بلغت معه إلى منزله في جماعة فجلس معنا في الدهليز وعرفهم أمري فإنه رأى إشارة الغربة ولم يعرف الشخص قبل ذلك في الواردين عليه. فلما انفض عنه أكثرهم قال لي: أراك غريبًا! هل لك من كلام؟ قلت: نعم قال لجلسائه أفرجوا عن كلامه، فقاموا وبقيت وحدي معه. فقلت له حضرت المجلس اليوم وسمعتك تقول آلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وصدقت، وقلت طلّق رسول الله صلى الله عليه وسلم وصدقت، وقلت: ظاهَر رسول الله صلى الله عليه وسلم، وهذا لم يكن ولا يصح أن يكون؛ لأنَّ الظهار منكر من القول وزور؛ وذلك لا يجوز أن يقع من النبي صلى الله عليه وسلم، فضمَّني وقبَّل رأسي وقال: أنا تائب من ذلك، جزاك الله عني من مُعلم خيرًا، ثم انقلبت عنه، وبكَّرت إلى مجلسه في اليوم التالي فألفيته قد سبقني إلى الجامع، وجلس على المنبر فلما دخلت من باب الجامع، ورآني نادى بأعلى صوته مرحبًا بمُعلمي، أفسحوا لمعلمي، فتطاولت الأعناق إليَّ وحدقت الأبصار نحوي وتبادر الناس إليَّ يرفعونني على الأيدي، ويتدافعونني حتى بلغت المنبر وأنا لعظيم حيائي لا أعرف في أي بقعة أنا من الأرض، والجامع غاصّ بأهله، وأسال الحياء بدني عرقًا، وأقبل الشيخ على الخلق فقال لهم أنا مُعلمكم، وهذا معلمي لمَّا كان بالأمس قلت لكم: طلّق رسول الله صلى الله عليه وسلم وآلى وظاهر، فما أحد منكم فقه عني، ولا ردّ عليَّ فاتبعني إلى منزلي، وقال كذا وكذا وأعاد ما جرى بيني وبينه، وأنا تائب عن قولي راجع الحق إلى الحق، فمن سمعه ممن حضر لا يُعوِّل عليه، ومن غاب فليبلغه من حضر؛ فجزاه الله خيرًا، وجعل يحفل في الدعاء والخلق يُأمِّنون".

قال ابن العربي-رحمه الله-: "فانظروا-رحمكم الله- إلى هذا الدين المتين، والاعتراف بالعلم لأهله على رؤوس الملأ من رجل ظهرت رياسته واشتهرت نفاسته لغريب مجهول العين لا يُعرف مَنْ ولا مِنْ أين؟ فاقتدوا به ترشدوا" اهـ.

وهذا هو دأب العلماء الرجوع إلى الحق وقبوله ممن جاء به كائنًا من كان. فقد ورد في تاريخ بغداد وذيوله- طبعة العلمية (٣٠٧/١٠)، عن عبدالرحمن بن مهدي قال: كنا في جنازة فيها عبيد الله بن الحسن، وهو على القضاء، فلما وُضِع السرير جلس وجلس الناس من حوله قال: فسألته عن مسألة فغلط فيها، فقلت: أصلحك الله، القول في هذه المسألة كذا وكذا، وما أردتها، وإنما أردت أن أرفعك إلى ما هو أكبر منها، فأطرق ساعة ثم رفع

رأسه فقال: "إذًا أرجع وأنا صاغر.. لأنْ أكون ذنبًا في الحق أحب إليَّ من أن أكون رأسًا في الباطل".

فعجبًا ثم عجبًا لمن لا يتزحزح عن الباطل بعد ظهوره له خوفًا من أن يصغر في عيون الناس.

يقول الإمام ابن رجب الحنبلي-رحمه الله- في الفرق بين النصيحة والتعيير: "كان أئمة السلف المجمع على علمهم وفضلهم يقبلون الحق ممن أورده عليهم وإن كان صغيرًا، ويوصون أصحابهم، وأتباعهم بقبول الحق إذا ظهر في غير قولهم".

ويذكر ابن حجر-رحمه الله – في كتاب توالي التأسيس هذه المقولة على لسان محمد بن إدريس الشافعي-رحمه الله- إذ يقول: "كل مسألة تكلمت فيها، وصح الخبر فيها عن رسول الله صلى الله عليه وسلم عند أهل النقل بخلاف ما قلتُ؛ فأنا راجعٌ عنها في حياتي وبعد موتي".

فعلى الإنسان أن يوطِّن نفسه على الانقياد للحق، فلا يَصدّه عن طريق الحق شيء ولا يمنعه من قبوله شيء.

أهم الأسباب التي تمنع الناس من الرجوع للحق:

وهناك جملة من الأسباب التي تمنع الناس من الرجوع للحق ذكرها الشيخ عبدالرحمن بن يحيى المعلمي اليماني-رحمه الله- في كتابه "القائد إلى تصحيح العقائد" أذكرها لك مختصرةً قال رحمه الله:

الأول: أن يرى الإنسان أن اعترافه بالحق يستلزم اعترافًا بأنه كان على باطل فالإنسان ينشأ على دين أو اعتقاد أو مذهب أو رأي يتلقاه من مربيه ومعلمه على أنه حق فيكون عليه مدة ثم إذا تبين له أنه باطل شق عليه أن يعترف بذلك، وكذلك إن كان يسير على نهج آبائه أو أجداده، ثم تبين له خطؤهم فيشق عليه الرجوع إلى الحق لأنه يرى أن في ذلك ضمنًا اعترافًا بضلالهم.

الثاني: أن يكون قد صار في الباطل جاه وشهرة ومعيشة؛ فيشق عليه أن يعترف بأنه باطل، فتذهب تلك الفوائد.

الثالث: الكِبْر: يكون الإنسان على جهالة أو باطل فيجيء آخر فيُعلِّمه ويبيّن له الحجة فيرى أنه إن اعترف كان معنى ذلك اعترافه بأنه ناقص، وأن ذلك الرجل هو الذي هداه، ولهذا ترى من المنتسبين إلى العلم مَن لا يشق عليه الاعتراف بخطئه إن كان تبيَّنَ له الحق ببحثه ونظره، ويشق عليه ذلك إن كان غيره هو الذي بيّنَ له.

الرابع: الحسد: وذلك إن كان غيره هو الذي بين الحق فيرى أن اعترافه بذلك الحق يكون اعترافًا لذلك المبين بالفضل والعلم والإصابة فيعظم ذلك في عيون الناس ولعله يتبعه كثير منهم وإنك لتجد من المنتسبين إلى العلم من يحرص على تخطئة غيره من العلماء، ولو بالباطل حسدًا منه لهم، ومحاولة لحطِّ منزلتهم عند الناس. ا.هـ

ولقد وجدت هذه الأسباب مجتمعةً في موقف أبي جهل من رسالة النبي-صلى الله عليه وسلم-، وذلك فيما ذكره محمد بن إسحاق عن الزهري أن الأخنس بن شريق سأل أبا جهل؛ فقال: يا أبا الحكم! ما رأيك فيما سمعت من محمد؟

قال ماذا سمعت؟ تنازعنا وبنو عبد مناف الشرف: أطعموا فأطعمنا، وحملوا فحملنا، وأعطوا فأعطينا، حتى إذا تجاثينا على الرُّكَب، وكنا كفرسي رهان قالوا منّا نبيّ يأتيه الوحي من السماء، فمتى ندرك هذه؟ والله لا نؤمن به أبدًا ولا نصدقه".

وذكره ابن كثير رحمه الله عند تفسيره قوله تعالى: «قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُۥ لَيَحْزُنُكَ ٱلَّذِى يَقُولُونَ فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَٰكِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ يَجْحَدُونَ» (الأنعام٣٣).

اللهم أرنا الحق حقًا وارزقنا اتباعه، وأرنا الباطل باطلاً وارزقنا اجتنابه. اللهم اهدنا لأحسن الأخلاق لا يهدي لأحسنها إلا أنت، واصرف عنا سيئها لا يصرف سيئها إلا أنت.

جماعة أنصار السنة المحمدية

تأسست عام 1345هـ - 1926م

ومن أهدافها

- الدعوة إلى التوحيد الخالص من جميع الشوائب، وإلى حب الله حبًّا صحيحًا صادقًا يتمثل في طاعته وتقواه، وحب رسول الله صلى الله عليه وسلم حبًّا صادقًا يتمثل في الاقتداء به واتخاذه أسوةً حسنة.

- الدعوة إلى أخذ الدين من نبعيه الصافيين - القرآن الكريم، والسنة الصحيحة - ومجانبة البدع والخرافات ومحدثات الأمور.

- الدعوة إلى ربط الدنيا بالدين بأوثق رباط: عقيدةً وعملاً وخلقًا.

- الدعوة إلى إقامة المجتمع المسلم، والحكم بما أنزل الله، فكل مشرِّع غيره - في أي شأن من شئون الحياة - معتد عليه سبحانه، منازع إياه في حقوقه.

التوحيد
الحقد النصيري على أهل السنة
وقفات شرعية
يا دعاة
الزموا
رمضان

مجلة التوحيد

هدايا قيمة

لأول ١٠٠

من المشترين

١٠٠٠

جنيه مصري سعر الكرتونة

بدلاً من

~~١٢٥٠~~

يوجد مجلدات لسنوات مختلفة

سعر المجلد الواحد ٢٥ جنيهًا

بدلا من ٤٠ جنيهًا

للحصول على الكرتونة الاتصال على قسم التوزيع

ت/ ٠٢٢٣٩٣٦٥١٧